الثقافة النفسية المتخصصة

العدد الواحد والستون - المجلد الخامس عشر - كانون أول / يناير ٢٠٠٥

التفكير الابتكاري

- ماهية الأحلام
- صفحات التراث النفسي
- خصوصية الدماغ البشري
- ذهان الهوس الإنهياري
- في مواجهة الأمركة
- قلق الموت

مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية
Center d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S
طرابلس - لبنان- شارع عزمي - بناية قاديشا ص.ب 3026 - التل
تلفون: 961-6-441805
فاكس: 961-6-438925
E.mail: ceps50@hotmail.com

الثقافة النفسية المتخصصة

WWW.psyinterdisc.com

Interdisciplinary Psychology | Psychologie Interdisciplinaire

السمنة وعلاجها النفسى

د. محمد احمد النابلسي

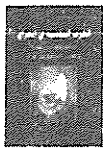

العدد الثالث والخمسون يناير السعر دولارات

يناقش العدد موضوع السمنة والبدانة موصفها شكل من اشكال ادمان الاكل عرض لمختلف انظريات المفسرة للسمنة والطارحة لاسبابها ودون اهمال لاقتراحات علاج السمنة الدوائية وحتى الجراحية قبل التعرض للعلاجات النفسية المقترحة للسمنة حيث يصفها المؤلف ومعها اضطرابات الاكل عامة في اطار الاضطرابات السيكوسوماتية المعروفة

المعلوماتية والعلوم النفسية

د.جمال التركي

العدد الثاني والخمسون اوكتوبر السعر دولارات

يناقش العدد موضوع استخدام المعلوماتية في مجال العلوم النفسية في البلاد العربية حيث النقص الكبير في هذا المجال ويشرف على الملف الزميل التركي صاحب الدور الرائد في هذا المجال للمزيد اقرا في العدد القادم

سيكوفيزيولوجية الالم

دراسة نفسية عصبية يشارك فيها ثلاثة من الباحثين الالمان المعروفين بحثهم الرائد في هذا المجال كما يضم العدد مقالته مع العالم الدكتور عادل وهو من رواد الاختصاص في المغرب العربي

سيكولوجية اطفال الانتفاضة

جماعة من الباحثين

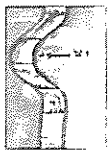

العدد الخمسون ابريل السعر دولارات

يتضمن البحوث التالية خصوصية الضغوط الناجمة عن الانتفاضة قراءة في سيكولوجية طفل الانتفاضة تصور خطة لعلاج الاطفال الفلسطينيين ومشكلات الانتفاضة للمزيد

ازمات المراهقة

ا.د. انور الجراية

العدد التاسع والاربعون ديسمبر السعر دولارات

يحتوي العدد على البحوث والمقالات التالية المراهق والمنطقة مشكلات المراهق المراهقة والصحة النفسية عند المراهق والمشكلات السلوكية والمراهق والمخدرات للمزيد

شروط النشر
الهيئة الاستشارية
موضوعات المجلة
مقدمة المجلة
دليل الموقع

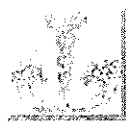

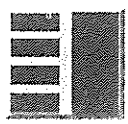

الصفحة التالية

مركز الدراسات النفسية والنفسجسدية
Center d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S

الثقافة النفسية المتنوعة

رئيس التحرير
محمد أحمد النابلسي

INTERDISCIPLINAR PSYCHOLOGY
Editor in chief: Naboulsi.M (M.D.PH.D)

PSYCHOLOGIE INTERDISCIPLINAIRE
Chef Editeur: Naboulsi M. (M.D. ph D.)

إن الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر كتابها، وهي لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

يرجى مراجعة شروط النشر المنشورة في صفحة مستقلة.

تعطى أفضلية النشر وفق خطة التحرير وبحسب المحاور المحددة مسبقاً.

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على عنوان المركز المبين أدناه.

طرابلس لبنان شارع عزمي بناية قاديشا
P.O .BOX: 3026 - Tal
تلفون: 961-6-441805
فاكس: 961-6-438925

E-mail: ceps50@hotmail.com

سكرتاريا التحرير

حسن الصديق — عبد القادر الأسمر

هيئة التحرير

روز ماري شاهين — سلمى المصري دملج

سامر رضوان — جليل شكور

الهيئة الاستشارية

احمد عبد الخالق جامعة الكويت. كلية الآداب.
احمد ابو العزايم رئيس الاتحاد العالمي للصحة النفسية.
اسامة الراضي مجمع الراضي للطب النفسي.
اليزابيث موسون عضو شرف في محافل عالمية.
انور الجرابة مستشفى الهادي شاكر للطب النفسي.
بشير الوشيدي رئيس مجلس أمناء مكتب الإنماء الاجتماعي.
جمال التركي استشاري الطب النفسي / بريطانيا.
جيمي بيشاي مشفى المحاربين القدماء / الولايات المتحدة.
على وطفة كلية التربية. جامعة دمشق.
صفاء الأعسر مركز دراسات الطفولة / عين الشمس.
طلعت منصور جامعة عين شمس / كلية التربية.
عادل الأشول جامعة الكويت / كلية التربية.
قتيبة شلبي الولايات المتحدة.
زايد الحارثي جامعة أم القرى / السعودية.
عبد الستار إبراهيم جامعة الملك فهد / الظهران.
عبد الفتاح دويدار جامعة الإسكندرية.
عبد العزيز الشخص جامعة عين شمس / كلية التربية.
عبد الرزاق الحمد جامعة الملك سعود / كلية الطب.
عبد المجيد الخليدي جامعة عدن / كلية الطب.
عدنان التكريتي رئيس تحرير المجلة العربية للطب النفسي.
علي زيعور الجامعة اللبنانية / كلية الآداب.
فاروق السنديوني جامعة وانغا وانغا / استراليا.
فرج عبد القادر طه عضو المجمع العلمي المصري.
فيصل الزراد مستشفى الطب النفسي / أبو ظبي.
قدري حنفي قسم الدراسات الإنسانية / عين شمس.
محمد حمدي الحجار أستاذ الطب النفسي السلوكي / سوريا.
محمد الطيب عميد كلية التربية / جامعة طنطا.

قيمة الاشتراك السنوي

الأفراد ٤٠ دولاراً أميركياً - للمؤسسات ١٠٠ دولار أميركي- ثمن النسخة عشرة دولارات أميركية، أو ما يعادلها - الاشتراك الشامل للمجلة وإصدارات المركز كافة ١٥٠ دولاراً أميركياً

قواعد نشر البحوث
في مجلة الثقافة النفسية المتخصصة

تعمل مجلة الثقافة النفسية المتخصصة على تقديم أفضل مستوى ممكن من الإحاطة بمستجدات الاختصاص في فروع العلوم النفسية كافة، محاولة بذلك الاستجابة لحاجات المتخصصين والمهتمين، خصوصاً بعد تداخل تطبيقات الاختصاص مع مختلف فروع العلوم الإنسانية. وذلك من خلال إطلاع القارئ على اتجاهات البحوث العالمية، وتعريفه بأخبار ومستجدات هذه البحوث عبر بعض الترجمات المفيدة. أما بالنسبة للبحوث العربية، فإن المجلة تسعى لتقديم فرصة عرض الدراسات والبحوث الرصينة والمسايرة للمستجدات والحاجات الفعلية لمجتمعنا العربي.

وصفحات هذه المجلة مفتوحة أمام كل الباحثين العرب. وهي ترحب بمساهماتهم الملتزمة بشروط النشر التي حددتها الهيئة الاستشارية، وهيئة التحرير على الشكل التالي:

قواعد عامة

1 - الالتزام بالقواعد العلمية في كتابة البحث.

2 - أن يكون البحث مطبوعاً ومراجعاً من قبل كتابه.

3 - أن لا يكون البحث قد سبق نشره أو عرضه.

4 - أن يقدم الباحث إقراراً بعدم إرساله إلى جهة أخرى.

5 - أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن 20 صفحة.

6 - كتابة العناوين وسط السطر والعناوين الفرعية على الجانب الأيمن.

7 - إرسال نسخة واحدة من البحث مع الديسك.

8 - السيرة العلمية المختصرة بالنسبة للكتاب الذين لم يسبق لهم النشر في المجلة.

قواعد خاصة

1 - كتابة عنوان البحث واسم الباحث ولقبه العلمي والجهة التي تعمل لديها على صفحة الغلاف.

2 - يراعى في إعداد قائمة المراجع ما يلي:

تسجيل أسماء المؤلفين والمترجمين، متبوعة بسنة النشر بين قوسين، ثم بعنوان المصدر، ثم مكان النشر، ثم اسم الناشر.

3 - تخضع الأعمال المعروضة للنشر للتحكيم العلمي السري وفقاً للنظام المعتمد في المجلة، ويبلغ الباحث في حال وجود اقتراحات تعديل من قبل المحكمين.

4 - توجه جميع المراسلات الخاصة بالنشر إلى رئيس التحرير.

5 - الآراء الواردة في المجلة تعبر عن رأي كتابها ووجهات نظرهم.

6 - تلتزم المجلة بإبلاغ الباحث عن قرار النشر، وهي لا تعيد الأبحاث المرفوضة لأصحابها.

7 - لا تدفع المجلة مكافآت مالية عن البحوث التي تنشرها.

إصدارات مركز الدراسات النفسية

طرابلس – لبنان ص.ب 3062 التل/فاكس 438925-6-961 هاتف 441805-6-961

1- **سيكولوجية السياسة الإسرائيلية -النفس المغلولة**

إصدار 2001 (عشرة دولارات)

2- **سيكولوجية السياسة العربية -العرب والمستقبليات**

إصدار 1999 (عشرة دولارات)

3- **العلاج النفسي للأسرى وضحايا العدوان**

إصدار 2001 (عشرة دولارات)

4- **الصدمة النفسية -علم نفس الحروب والكوارث**

(ستة دولارات)

5- **الثقافة النفسية المتخصصة**

(مجلة فصلية)

- *اشتراك سنوي $40*
- *اشتراك شامل $100*
- *اشتراك مؤسسات $100*
- *اشتراك مدى الحياة $500*
- *مجلة عام سابق $40*
- *اشتراك إعلاني (يتفق عليه)*

6- **أصول الفحص النفسي ومبادئه**

ط3 (عشرة دولارات)

7- **قراءات مختلفة للشخصية -تحليل لشخصيات**

نجيب محفوظ. (ستة دولارات)

8- **المعجم النفسي**

ومصطلحات طبية ونفسية وعصبية

(ذياب والجراية وعمار) (أربعون دولار)

9- **الدليل النفسي العربي**

(عشرة دولارات)

10- **معجم مصطلحات الطب النفسي**

(عشرة دولارات)

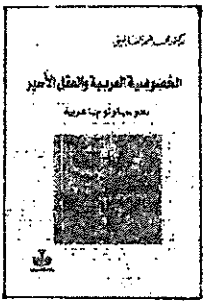

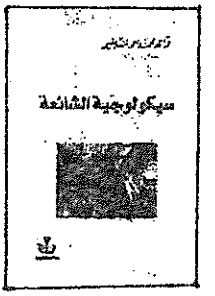

فهرست العدد

عزيزي القارئ..... 7

قضية حيوية – إذا لم نكن نستطيع الرؤية بوضوح / حسين عبد القادر 9

علم النفس حول العالم / صبوح ،شطح، نعمان 13

مقابلة العدد / لقاء مع مؤلف سيكولوجية الشائعة..... 21

الندوات والمؤتمرات 27

ماهية الأحلام / كانترويتز وسبرينغن 30

ذهان الهوس الانهياري / محمد أحمد النابلسي 39

في ذكرى عبد الحميد شتا / قدري حفني 44

صفحات للنفس في التراث العربي / حسين عبد القادر 47

مكتبة العدد 67

- في مواجهة الأمركة 67
- العلاج السيكوسوماتي المعرفي 70
- سيكولوجية الشائعة..... 71
- الخصوصية العربية والعقل الأسير..... 74

ملف العدد

التفكير الابتكاري 77

الطاهر سعد الله / الجزائر

مقالة بالإنجليزية / جيمي بيشاي 93

WHAT HAPPENED TO DEATH ANXIETY?

عـزيزي القـارئ

عام جديد يضعنا أمام حرج العجز عن تفعيل الاختصاص، وتطويعه للاستجابة لحاجات مجتمعنا، ومعاناة إنساننا العربي. فنحن لا نزال ننتج البحوث حول الحقوق الأميركية، ونناهض العنف ضد المرأة ونساؤنا يردن الستر والحماية من العدوان الأجنبي عليهن وعلى أبنائهن. وهن لم يعدن مباليات بحقوقهن الانتخابية تحت تهديد انتهاك العرض كما يجري في العراق وفي أماكن عديدة في وطننا العربي.

أمام سخاء التمويل الأجنبي للبحوث غير النافعة لإنساننا، فإننا لا نجد تجاوباً للبحوث حول إحصاء الكوارث العربية ودعم ضحاياها، وإعادة تأهيلهم، وغيرها من الحاجات الحيوية لمجتمعاتنا التي تحولت إلى مجتمعات كوارث غير ممكنة التجنب، ومهددة للبقاء وللكرامة. وجهاز قيمنا يقدم الكرامة على الحرية. ونحن لا نأكل الحرية ولا نحتاجها إذا كانت على حساب كرامتنا. وهي واقعة لا يريد الآخر فهمها، أو هو لا يريد ذلك؟!.

لقد جهدنا في المركز على إنتاج البحوث المساعدة لدعم الإنسان العربي في معاناته، فأصدر المركز بالتعاون مع مؤسسات أخرى الإصدارات التالية: الخصوصية العربية والعقل الأسير، وسيكولوجية الشائعة / تطبيق على الحرب العراقية، وفي مواجهة الأمركة، وهي معروضة في مكتبة هذا العدد مع مقابلة مع الدكتور النابلسي، مؤلف سيكولوجية الشائعة.

ملف العدد خصص لموضوع «التفكير الابتكاري» لزميلنا الجزائري المنضم حديثاً إلى أسرة المركز، وهو الدكتور الطاهر سعد الله. كما نرحب بالبروفسور الكبير حسين عبد القادر الذي يشاركنا في باب قضية حيوية، وفي مقالة حول التراث النفسي العربي.

وبالإضافة إلى الأبواب الثابتة: علم النفس حول العالم، ومكتبة العدد، والندوات والمؤتمرات، يضم عددنا المقالات التالية: ماهية الأحلام (كانترويتز وسبرينغن) وذهان الهوس الإنهياري (محمد أحمد النابلسي) وفي ذكرى عبد الحميد شتا (قدري حفني)، ومقالة للبروفسور بيشاي بالإنجليزية وعنوانها WHAT HAPPENED TO DEATH ANXIETY?

وعلى أمل أن يكون هذا العام الجديد أقل كارثية من سابقيه على مجتمعاتنا، نضع هذا العدد بين يديك عزيزي القارئ، مرحبين بملاحظاتك واقتراحاتك وكل عام وأنت بخير.

أسرة التحرير

الثلاثاء الأسود
خلفية الهجوم على الولايات المتحدة الأميركية

المؤلف: الدكتور محمد أحمد النابلسي.
الناشر: دار الفكر – دمشق 2001.

لقد كان للهجوم على الولايات المتحدة الأميركية في الحادي عشر من أيلول 2001 وقع الصاعقة على المجتمع الأميركي والدولي.

ذلك أنها المرة الأولى التي تتعرض فيها الولايات المتحدة إلى هجوم على رموزها الاقتصادية والعسكرية المتمثلة في مركز التجارة الدولي والبنتاغون وكادت طائرة من الطائرات المهاجمة أن تصل إلى البيت الأبيض لولا أنها أسقطت قبل وصولها إلى واشنطن.

والغريب أن وسائل الدفاع الجوي والاستخبارات الأميركية وقفت عاجزة عن التنبؤ مسبقا بهذه الضربات.

وهذه الحادثة المروعة لم تحدث من فراغ وإنما سبقها توتر أميركي داخلي وتصدير لفوضى سياسية على الصعيد الخارجي.

وقد استطاع الدكتور محمد أحمد النابلسي الخبير بالتحليل السياسي التنبؤ بما جرى نتيجة تحليله لما سبق من تحولات وتغيرات سياسية على الصعيد الأميركي، والدولي.

وهذا الكتاب دراسة بانورامية لمجمل العوامل التي لعبت دورا في الوصول إلى وقائع الثلاثاء الأسود.

قضية حيوية

إذا لم نكن نستطيع الرؤية بوضوح!!

حسين عبد القادر

على الرغم من أننا في الساعة الخامسة والعشرين، وهي للأسف، الساعة بعد الأخيرة، إلا أن الواجب يلزمنا بأن نقولها، لذا أحسب أن المواربة، أو التهرب من الإجابة على هذا السؤال المركب، لم تعد تتناسب والواقع بأية حال، ونحن نرى هذه الهجمة الشرسة، وغير المبررة إلا في ضوء استكمال أحكام قبضة هذه الإمبراطورية الأميركوصهيونازية الجديدة بيمينها المتعصب ونرجسيتها الشموس التي تغوي العالم بوهم القدرة المطلقة للسيطرة لا على بترول العالم كله من بحر قزوين إلى الشرق الأوسط، مع إعادة تشكيل المنطقة في مقام أول لتتسق مع أهدافها الإمبريالية في تثبيت «اللاكيان» الصهيوني كقاعدة ارتكاز في منطقتنا العربية في ظل مفهوم خاطئ لإمكانية قيام عالم أحادي القطب! وهنا ولكي أجيب على السؤال المركب علي أن أتذكر مقولة للتحليل النفسي، إذ يرى أنه «إذا لم يكن باستطاعتنا أن نرى بوضوح، فإننا نرغب على الأقل أن نرى في الظلمات رؤية حادة». لذا تلزمنا الوقائع بمرارتها بأن نكف عن صمت هو بذاته التواطؤ بعينه، ومن ثم أصبح من الواجب علينا أن نقولها، وأن نضع نقاطاً – ما أمكننا- فوق أحرف مغفلة، وعلى المسؤولين أن يسمعوها في إطار من احترام الرأي المخالف والاهتمام بالنقيض الذي قد يفتح السبيل أمام جهد حقيقي لإرادة التغيير الذي يستحيل – بدونه- أن يكون هناك أي تقدم.

ومن هذا المنظور فإني أرى أن العجز المطلق أبداً لم يكن عجز الجماهير – وسنأتي إليها- وإنما هو عجز جمهرة من الحكام بمؤسساتهم الحاكمة، وأقول «مؤسسات» تجاوزاً، فما أكثر ما في العديد من بلادنا العربية من أفراد وعائلات حاكمة مطلقة، وأما سبب عجز هؤلاء وهؤلاء فأوله طول تبعيتهم للأجنبي الذي أصبح منذ عقود – وبعد أن تغيرت الشمس عن الإمبراطورية البريطانية التي كانت أكثر هيمنة على المنطقة.. متمثلاً في «الكاوبوي» واليانكى الأميركي، فغابت الديموقراطية في أبسط أشكالها، وذلك برضاء السيد الأميركي الذي يتباكى الآن على الديموقراطية الغائبة، والتي سبق وبارك غيابها، بقدر ما بارك قهر الشعوب ودرب الأجهزة الأمنية التي كانت تعمل لتأمين الحاكم الفرد ومؤسسته المطلقة، بارك حتى غابت الحريات تماماً – مع اختلاف في الدرجة من هذا الشعب إلى ذاك، إلا في ضوء المقولة الشائعة لدى البعض بأن تقول الجماهير ما تشاء وتثرثر به، والحكام يفعلون ما شاءوا وقدروا له، وهكذا تتحقق في النهاية ما يمكن أن نسميه معادلة مرجل البخار الذي يخشى أن ينفجر تحت ضغط بعينه، لذا لا بأس من أن تتسرب بعض بخاره في ظاهرة كلامية دون فعل حتى لا

تؤدي ديمومة القهر، وغيبة تداول السلطة، وتسريب القوانين بالهوى المطلق، وما أكثر ما يمكن أن يؤدي لما لا تحمد عقباه، وهو الأمر الذي أسس لدرجة قصوى من الإحباط في ظل غيبة الدور والنخب السياسية المهجنة أو المتابعة، ذلك إن كانت هناك هذه النخب موجودة.

ماذا بقي للجماهير، إذن، في ظل هذا الإحباط المرير الذي تواكب معه إحياء لاستراتيجيات قديمة / حديثة للسيطرة الأميريكوصهيونازية؟! إنها الصدمة Trauma بلغة التحليل النفسي، إذ هي واحدة من النتائج المرضية للإحباط الذي لا قوة على تحمله، وبخاصة بعدما استنزفت القوى في معاناة الحياة اليومية، مع غيبة حد أدنى يستحث لدى الكثرة ذلك الإحساس الضروري لمواجهة هذا العارض المرضي (الصدمة وغيرها من أعراض من قبيل الاكتئاب وما إليهما) بشرف المواطنة التي تتأسس عليه الهوية – فيما تتأسس عليه – بعدما انتهكت حرماته، وازدادت مسارات همومه. الجماهير محبطة، إذن، وتعاني من صدمة لم تهيأ لها. إلا أن أمانة العلم تلزمنا بأن نشير إلى أن التحليل النفسي يرى أن الإحباط أول ما يؤدي إلى حالة من القلق (التوتر الزائد الذي لا قبل للمرء به فهو حصر – من التعبير القرآني "حصرت صدورهم"– أي ضاقت وازداد بهم الهم والغم) وهو ما تستنزف معه قوى الأنا التي تصبح على درجة من الضعف لا تقوى معه على مجابهة الواقع بغير النكوص إلى أساليب طفلية هروبية، وعوارض مرضية هي حل توفيقي بين الرغبة ونقيضها – تختلف في الدرجة من فرد لآخر، لكنها كلها محاولات هروبية تزيد من ثقل الحياة، وتجعل الموقف عبئاً لا يخلو من هبات بين حين وآخر في محاولات غير منتظمة لاستعادة اتزان مفقود، ذلك الاتزان الذي اختل بفعل الضغوط المتعددة والقهر الممتد – وأيضاً وللحق العبودية المختارة – ليجبر الكثيرين على ثنائية مكشوفة في التعامل مع أنظمته الحاكمة بأن يقولوا في نقيض ما يقولونه في السر وجلسات من يطمئنون إليهم، وما بين النكتة والقضية والأنامالية (من أنا مالي شأن بهذا كله) ودعهم يذقون بأيدي أسيادهم مغبة ما صنعوه بنا، تضيع كثير من القيم الواجبة، وأقلها الضرورة المطلقة لمواجهة المحنة النازلة التي ستطال الجميع، محكومين وحاكمين، مما قد يحرك مشاعر ذنب تزيد الموقف تعقيداً قد يحتاج إلى بعض الوقت كي يسترد المرء يقيناً بضرورة الدور، بقدر ما يحتاج للنخب المثقفة التي كان بإمكانها أن تدرأ عجز النخب السياسية التي أهترأت في جمهرتها على اختلاف اتجاهاتنا، إلا أنه علينا هنا أن نشير إلى ما لا يحتاج لبيان، من أن جل هذه النخب، أفراد وجماعات، قد نالها الإحباط بأكثر مما طال الجماهير البسيطة التي علقت وطنها في القلب رغم جحيم المعاناة اليومية التي يحيونها، ورغمها فها هي بعضها لما تزل تحاول، من قبيل الطلاب وندرة معهم – وللحق– من مثقفين ما زالوا على إيمانهم بالدور والرسالة، وبتحسسون السبيل لعديد من الإمكانات للخروج من النفق المظلم ليحققوا لأنفسهم درجة من إعادة الاتزان.

نحن، إذن، في مرحلة عصاب صدمي.. أو لنقل بصورة أوضح – نحن إزاء عوارض مرضية من طول مكث في التبعية لجدل السيد / العبد، وعلينا أن نتخطاه بالمحاولات التي

يجب أن نبذلها، نجاحاً وفشلاً، لتولد من جديد، ونصبح في العالم لا مجرد كائنات في العالم. إلا أن ذلك كله يحتاج إلى تضافر القوى والوعي بأن الوطن العربي من الخليج إلى المحيط في محنة لا سبيل إلى اجتيازها بغير إرادة الفعل. الفعل الذي يتخطى الإحباط والقلق والعوارض المرضية في لحظة اتفاق الوعي بأن الوافد الإمبريالي الأميركوصهيونازي الجديد/ القديم ليس بالقدرة المطلقة التي نتوهمها عنه، ذلك أن جدلية الحياة تأبى الدور الواحد والحاكم المطلق بأمره والذي أصبح إلهاً من دون الله ليحقق تفرداً وسيطرة هي في ذاتها نقض للوجود ذاته، بغض الطرف عن قيم أخلاقية والتزامات دولية واجبة ما كان لمطلق القدرة في وهمه أن يأبه لها في سبيل مصالحه، ناسياً أن الشوط لابد أن يمضي إلى نقيضه الحتمي بعثاً لمركب جديد، ستسهم في سرعة تحققه إرادة أن نكون لتسترد الأنا المشتتة والمبعثرة ثقتها بنفسها في وجه التبعية التي غرق فيها الكبار والنخب السياسية – بل والجماهير بتعدد وعيها بالواقع- في العبودية المختارة، والخوف غير المبرر، وبخاصة في لحظة الحظر، الداهم الذي يحيق بالجميع، ويلزمهم معاً، من لاذوا بالعجز من الحكام والساسة، ولتحليله أبعاداً أخرى تتخطى التبعية والقبلية والنرجسية التي لا يرون فيها غير صورتهم، ولا يسمعون معها غير صوتهم، وبالمثل يلزم الشعوب المحبطة الذي اندلع قلقهم ليلوذوا بعده بالعصاب الذي يعمي عن الضرورة المطلقة لتوازن سوى نقيض الصمت، أو الكلام المسكوت، والحلول المرضية المستغرقة في الدفاع عن وجود مفقود.

إن على هؤلاء وهؤلاء – ونحن يقيناً منهم- أن ننظر في أنفسنا وواقع أمتنا من أجل الفردوس مستعاداً لغد أمة عربية، أبداً لن تكون أمة، وذلك بحكم الجغرافيا والتاريخ، وعلينا أن نستحق الانتماء إليها، وأن يعي العالم قيمتها بعدما أهدرنا صورتها، ولن يكون ذلك بغير إرادة أن نكون، وهو ما يحتاج منا للوعي بقيمة النضال مع ذواتنا وأنفسنا، والعمل والتكاتف في فهم يعي تعبير الفنان الشعبي محمود شكوكو في الأغنية الشهيرة "من فوق لتحت ومن تحت لفوق" أنها مقولة تلقائية تحمل فهماً جشطلتياً مزيداً للقانون الذي حبكته هذه المدرسة في علم النفس عن قيمة النظر إلى الكل Whole، لكن ذلك يجب أن يكون في علاقة عضوية بالأجزاء المكونة له، والتي يمثل كل منها كلاً تتشابك وتتناغم في كل دينامي هو الوطن / الأمة بكل عناصر ومكونات وأفراد وجموع وتشكيلات بنيته التي أصبحت في محنة لا يحتمل الواقع معها المماحكات أو الرؤى الهزيلة، أو الخوف، من عدو قاهر لنفسه ومنكشف الصورة والأهداف، وللحق فإن العدو الحقيقي لنا إنما هو نحن، نحن إذا ما أجلنا الفعل وبوصلة الرؤية والبصيرة، ولتكن لنا من شعوب العالم حكمة استباقها ببصيرة الغد، وما أكثر دروسهم لنا نحن المحكومين والحكام، وكلها تعبير عن عظم الإرادة، إذ تقبل التحدي، وتستبق الخطر بقيمة الفعل المتعدد الوسائط، وهذه أوروبا، وغيرها من بلدان الشمال مثالاً، وهذه بلدان في الجنوب لم تخضع للرشوة الممجوجة، واستطاعت أن تقول لا لأكبر دولة إرهابية في العالم، كما يصفها تشومسكي، ابن جلدتها الذي لم يخضع للغة الحوار الحاكمة الأميركوصهيونازية، المتعصبة إن واجبنا الإنساني قبل القومي، والقومي الذي يرتبط عضوياً أيضاً بمصالحنا، قبل أن يستدير

البربريون التتاريون الجدد إلينا، وسيستديرون، إن لم نساند الشعب العراقي البطل الصامد في مواجهة مجانين الحرب، ومدمن الكحول السابق الذي شفي منه ليتحول إلى إدمان الحروب، وسيظل الشعب العراقي، دفاعاً عن الأرض والعرض والكرامة يحقق انتصاراً تلو انتصار، وقد تحتل بعض أراضيه، وقد يدخل الغازون بغداد، لكنها في ما أظن، إيماناً بدور الشعوب، ستكون مقبرة تدحض فريات قتلة الأطفال والمدنيين، وتجار المصالح بقدر ما ستتكشف دعواهم، وقد انكشفت عن الورود التي سيستقبلون بها، فإرادة الشعوب في لحظة الواجب والخطر تصنع المعجزات، لكنهم يحتاجون أيضاً من أخوانهم من الشعوب العربية لإرادة تناغم صمودهم وتقوى عزائمهم، وتنفض الإحباط الذي طال مكثاً لنكون من العالم نشارك جموعه محاولاتنا لإيقاف هذه الآلة البشعة المندفعة بجنون وراء مصالحها، ووهم الإمبراطورية الإمبريالية الأحادية القطب لحكم العالم، والسيطرة على مقدراته، ولنتذكر أننا في الساعة الخامسة والعشرين، وهي مرة ومرات الساعة بعد الأخيرة، ولنتذكر معها عبارة شكسبير.. أن نكون « الوجود» أو لا نكون «العدم» تلك هي المسألة.

علم النفس حول العالم

إعداد: نشأت صبوح، رمزية نعمان، سناء شطح

العلماء يطاردون مفتاح فهم خصوصية الدماغ البشري

تخلى علماء الأعصاب منذ زمن عن البحث عن مستقر الروح في الجسد، بعد أن أيقنوا من انه لا جدوى من بحثهم، لكنهم لا يزالون يواصلون البحث عن الخواص أو الأجزاء المميزة التي ينفرد بها دماغ الإنسان عن غيره من الكائنات، وتشكل أساساً لمستوى الوعي الذاتي والمشاعر المعقدة التي لا تملكها الحيوانات الأخرى.

ودأب هؤلاء العلماء في العقود الماضية على دراسة الدوائر الكهربائية في الدماغ، بدلاً من البحث عن مواقع محددة، وركزوا اهتمامهم على فهم سلاسل التفاعلات الكيميائية التي تلعب دوراً أساسياً في توليد المشاعر الاجتماعية والحسّ الأخلاقي، وحتى الإحساس بحرية الإرادة.

لكن هناك خلايا عصبية متخصصة لها تأثيرها أيضاً في هذا المجال، تعرف بالخلايا المغزلية، التي توجد فقط عند الإنسان والقردة، واهم ما يميز هذه الخلايا العصبية أنها غنية جداً بالأطراف الخيطية، وأنها على ما يبدو تنقل الإشارات ذات الصلة بالسلوك الاجتماعي في أنحاء الدماغ.

وقد تبين للعلماء أن الجسم لا يقل أهمية عن الدماغ في الخصوصية التي يتميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات.

ويعتبر أنطونيو دماسيو، أستاذ علم الأعصاب في المركز الطبي بجامعة أيوا الأميركية، ومؤلف كتاب "البحث عن سبينوزا: الفرح والحزن والدماغ الشاعر"، أول من جادل بأن المشاع والأحاسيس مرتبطة بين دماغية تقوم برسم خرائط تفصيلية للجسم، وقال إن الحس الأخلاقي والمحاكمة المنطقية كليهما تطورا من المشاعر الاجتماعية.

وفي حين أن هذه الأفكار في جوهرها ليست جديدة تماماً، فإن الباحثين الآن يستطيعون تعريف مظاهر محددة في بنية الدماغ البشري، تشير إلى كيف طوّر أسلافنا المشاعر الاجتماعية المعقدة والثقافة وغيرها من المظاهر الجوهرية في السلوك البشري.

لكن البحث عن الاختلافات البنيوية في أدمغة الكائنات ليست بالمهمة السهلة، فأدمغة الثدييات متشابهة، وجميعها تحتوي على اللحاء الخارجي، المعروف بالقشرة الدماغية. وما

يميز قشرة دماغ الإنسان، حيث يكمن مركز الذكاء، هو فقط أنها أكبر بكثير من قشرة أدمغة المخلوقات الأخرى بالمقارنة مع حجوم أجسامها.

لكن حجم الدماغ ليس كل شيء، ومن الخصائص المهمة الأخرى في الأدمغة الأكثر تعقيداً أنها غنية بدوائر الاتصال، وهي عبارة عن خلايا مربوطة ببعضها البعض في أجزاء متعددة في الدماغ تنشط في الوقت ذاته. تصوّر شجرة عيد ميلاد تحمل ملايين الأضواء، يمثل كل واحد منها مجموعة خلايا.

إن مجرد التفكير بالكلاب، على سبيل المثال، سوف يؤدي إلى تفعيل مجموعة صغيرة من الأنوار، في حين يؤدي التفكير بمشهد الغروب إلى تفعيل مجموعة جديدة مختلفة تماماً من الأضواء لا تتدخل مع المجموعة الأولى. وحالما ينتهي التفكير بهذا الشيء، أو ذاك، تسكن جميع الأضواء أو الخلايا العصبية بانتظار تفعيلها في تشكيلات مختلفة عند بزوغ أفكار جديدة.

توجد بعض مجموعات الأضواء في بنى تقوم بدور محاور أساسية للتفكير والإحساس. وعلى سبيل المثال فإن منطقة دماغية تدعى "الحزام الأمامي" - وهي محور تتفرع عنه عدة مجموعات خلايا - تنشط دائماً قريباً عندما يختبر الإنسان مشاعر، أو يحتاج إلى لتفكير في أمور صعبة، أي أنه عندما يواجه المرء أي صراع من أي نوع أو يحصل على أي مكافأة مادية أو معنوية، فإن الحزام الأمامي في الدماغ يتّقد بالنشاط على الفور.

أو على الأقل هذه هي المحاكمة العقلية التي ينتهجها الباحثون الذين يراقبون ازدياد تدفق الدم في المناطق الدماغية بواسطة ماسحات خاصة تدعى التصوير الوظيفي بالرنين المغناطيسي. ومن التجارب الرائدة في هذا الميدان تجربة أجريت في أربعينيات القرن الماضي على دائرة دماغية متصلة بحاسة اللمس. ووجد العلماء أن الأحاسيس الواردة من الجلد، بما في ذلك الإحساس بالألم والحرارة، يتم نقلها بواسطة ألياف عصبية إلى جزء من الدماغ مخصص للإحساس الجسدي.

أما الأحاسيس الأقل وضوحاً الآتية من الأحشاء والأعضاء الداخلية فتذهب إلى منطقة دماغية صغيرة تدعى "القشرة الجزرية"، أو هكذا كان التفكير السائد في ذلك الحين. لكن آرثر كريغ، عالم التشريح العصبي الوظيفي في معهد بارو للعلوم العصبية في مدينة فونيكس الأميركية يقول إن هذه الرؤية التقليدية غير صحيحة بالنسبة لمعظم الأحاسيس البدنية.

وفي سلسلة من المقالات المنشورة في المجالات المتخصصة بعلوم الأعصاب، أسس كريج لرسم بياني جديد لنمط التوصيل الذي يشرح كيفية تخاطب الجسم البشري مع الدماغ. تحتوي الأنسجة في مختلف أنحاء الجسم من البشرة السطحية في العضلات على نهايات عصبية أو "حساسات" تنقل المعلومات عبر أعصاب طويلة إلى الجزء العلوي من الحبل الشوكي.

ومن هذه المعلومات تأتي الأحاسيس التي تتضمن الشعور بالألم، البرد أو الدفء، الحكة، الجوع والعطش، وتقوم الخلايا المعنية التي تدعى خلايا "لامانا-1" العصبية برسم خارطة لحالة الجسم، وهي تعتبر الخطوة الأولى في فرز وإرسال المعلومات الحسية عبر بنى خاصة في الأرومة الدماغية، والدماغ الأوسط إلى القشرة الدماغية، وينتهي هذا الخط عند جزءين بحجم الإصبعين في قشرة الدماغ، يسميان القشرة الجزرية، واحد في الجانب الأيسر والآخر في الجانب الأيمن من الدماغ.

لكن محطة التوقف الحاسمة في هذا الطريق ربما تكون في نواة من الخلايا في ظهر منطقة "المهاد البصري" تدعى اختصاراً نواة "فمبو". وتكاد هذه النواة تكون غير موجودة عند معظم الثدييات، لا يتجاوز حجمها عند قرد المكاك حجم حبة الرمل، في حين أنها ضخمة نسبياً عند البشر، حيث تكون بحجم حبة الفستق، ويعتقد أنها تلعب دوراً مهماً في نقل وتفسير المعلومات المعقدة من المشاعر الجسدية المختلفة.

وفي خط بحثي منفصل، نزل عالم الأعصاب جون آلهان وزملاؤه في معهد كاليفورنيا للتقنية إلى ما دون مستوى البنية الدماغية للتعرف على فئة خاصة من الخلايا العصبية تعرف بالخلايا المغزلية، التي تتميز بضخامة حجمها، وتقوم بجمع المعلومات ونقلها بين مناطق الدماغ المختلفة. ويبدو أن هذه الخلايا بالتحديد تقع في صميم دوائر المشاعر الاجتماعية البشرية، بما في ذلك الحسّ الأخلاقي. وقد أعلن آلهان عن اكتشاف خلايا مغزلية في منطقة دماغية تدعى القشرة الجزرية الأمامية في نوعين فقط من الكائنات الحية، هما البشر والقردة الأفريقية، لكن عددها عند البشر حوالي 82 ألفاً، أو الشمبانزي 1800.

ولا تكون الخلايا المغزلية موجودة عند الولادة بل تظهر في سن الأربعة شهور تقريباً، وتزداد تدريجياً خلال العام الثاني والثالث، وهي المرحلة ذاتها التي يتطور فيها الإحساس بالذنب والإحراج لدى الطفل. وتواصل منظومة الخلايا المغزلية والفصوص الجبهية النمو بعد ذلك فيما يطور الأطفال الحسّ بالمحاكمة الأخلاقية. ولم يذهب أي عالم أعصاب إلى حد القول بأن هذا هو مركز الضمير و الإحساس بحرية الإرادة في داخل الإنسان، لكن لو تصور المرء وجود مركز واحد لمثل هذه المظاهر الأساسية في الطبيعة البشرية، لكان هذا هو المركز.

فقيد الطب النفسي العربي

الأستاذ الدكتور عادل صادق

"جنتلمان" الطب النفسي كما عرفته

من النادر أن يجمع شخص واحد بين التفوق العلمي والبراعة في الأداء المهني، مع ما يقارب الكمال في الجانب الإنساني من الأدب والذوق واللياقة والتواضع.. لقد جمعت

شخصية فقيد الطب النفسي الراحل الدكتور عادل صادق بين العلم والخلق الرفيع في معادلة صعبة نادرة.

ولا يمكن أن يغيب عن الذاكرة أسلوبه الراقي ووجهه الطلق المشرق وابتسامته الصادقة.

و كما عرفته على مدى السنوات قبل أن يرحل وهو في قمة العطاء فقد كان لي شرف القيام ببعض الأعمال العلمية بالاشتراك معه ومن أمثلة هذا الكتاب المنشور كتاب في الطب النفسي والقانون الذي قام بالتقديم له في عدة طبعات الدكتور عادل صادق، وقيامه بمراجعة معجم متخصص لتعريب مصطلحات الطب النفسي قمت بإعداده ضمن برنامج تعريب التخصصات الطبية الذي يتبناه مركز تعريب الطب التابع للجامعة العربية فكان نموذجا للعالم والخبير المتميز في مجاله والطبيب الإنسان صاحب الرؤية الشاملة للأمور المهنية والإنسانية على حد سواء، قال شوقي:

خلقنا للحياة وللممات ومن هاتين كل الحادثات

ومهد المرء في أيدي الرواقي كانعش المرء بين النائحات

ومعذرة إن لم تسعفني اللغة العربية بوصف ملائم يحيط بصفات الراحل العزيز، فوجدت الكلمة الأجنبية "جنتلمان" أنسب في الوصف. لقد فقد الطب النفسي أحد أهم أعلامه ورموزه لكن الموت هو نهاية كل حي.. قال تعالى "ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون".

رحمه الله رحمة واسعة.

د. لطفي الشربيني

استشاري الطب النفسي

الاكتئاب يفاقم باركنسون

أشار باحثون في جامعة أدنبرة، اسكتلندا، مؤخراً، إلى وجود تأثير للاكتئاب على تفاقم مرض باركنسون "الشلل الرعاش"، وهم بصدد دراسة الكيفية التي يؤثر بها الاكتئاب على الأشخاص الذين يعانون من هذا المرض. وستنظر الدراسة أيضاً في الطريقة التي يؤثر بها المزاج العام على عمليات التفكير لدى المصابين بالمرض، وكذلك كيفية علاج هذا الاضطراب المراجي.

وقال أحد علماء النفس: وهو من المشاركين في الدراسة: "يشيع الاكتئاب بين مرضى باركنسون، ونعتقد أن مشكلاتهم المتعلقة بعمليات التفكير المعقدة ربما تكون نتيجة مباشرة لحالة رئيسية من حالات الاكتئاب".

عدوى في الدم تنتشر في أوساط الجنود الأميركيين

أعلن أطباء في الجيش الأميركي أن أعداداً كبيرة من الجنود الأميركيين الذين أصيبوا في الحروب في الشرق الأوسط وأفغانستان يخضعون لفحوص في مستشفيات عسكرية، نظراً لظهور عدوى غير قابلة للعلاج في الدم.

فقد وجد أكثر من 102 جندياً مصاباً ببكتيريا تدعى Acinetobacter baumannii، وقد ظهرت هذه الحالات في أوساط الجنود في مركز وولتررييد الطبي التابع للجيش في واشنطن ومركز طبي في ألمانيا، وفي مواقع أخرى في الفترة الواقعة ما بين يناير/ كانون الثاني 2002 و 31 أغسطس/آب عام 2004.

وقال الجيش الأميركي في تقرير له نشر من قبل مراكز السيطرة والحماية من الأمراض إنه رغم عدم معرفة الأماكن التي أصيب الجنود فيها بالعدوى، فإن الجيش في هذه القضية يدعو إلى ضرورة رفع مستوى السيطرة على العدوى في المستشفيات الحكومية.

ووقعت 85 من حالات العدوى في الدم في أوساط الجنود الذين خدموا في العراق وأفغانستان، وفقاً للتقرير. ونفى المحققون في الجيش معرفة ما إذا كان الجنود قد أصيبوا في ساحة القتال خلال تلقيهم للعلاج، أو عقب نقلهم إلى المراكز الطبية، مثل وولتررييد وغيرها.

وتظهر بكتيريا baumannii التي توجد في الماء والتربة، وتقاوم أنواعاً كثيرة من المضادات الحيوية، في المستشفيات، وغالباً ما تصيب المرضى الذين يرقدون في العناية المركزة.

كما وجدت هذه العدوى في الجنود الجرحى المصابين في أذرعهم وأيديهم وأرجلهم إبان حرب فيتنام.

يذكر أن انتشار العدوى يتوقف لدى تنظيف العاملين في الرعاية الصحية أيديهم وأيدي مرضاهم بقطع قطنية معقمة بالكحول، وكذلك مراقبة جروح الأطراف وتحديد المكان المصاب بالعدوى.

وعبَّر مسؤولون في الجيش عن أهمية تطوير أدوية ذات فعالية لاحتواء نشوب العدوى. وفي بعض الحالات يعتبر المضاد الحيوي الفاعل "هوكولستين" وهو دواء قديم نادرا ما يقدم هذه الأيام بسبب ما يحتوي عليه من السموم.

الحزن والاكتئاب يؤديان إلى موت خلايا الدماغ

كشفت دراسة علمية أجراها عدد من الباحثين الدانماركيين أن الأشخاص الأكثر عرضة لحالات الاكتئاب والحزن الشديد بشكل مستمر هم أكثر الناس عرضة لتلف وموت خلايا الدماغ.

وأضاف الباحث: "أظهرت بحوث سابقة أن مرضى باركنسون، الذين يعانون أيضا من الاكتئاب بصورة رئيسية، يظهر لديهم تدهور واضح في عمليات التفكير في مدة أقصاها عام واحد، مقارنة بمرضى باركنسون الذين يعانون من اكتئاب غير رئيسي، أو لا يعانون من الاكتئاب". وختم قائلاً: "إذا استطعنا التعرف على الاكتئاب ومعالجته، فلربما نتمكن من الحيلولة دون ظهور تلك الأعراض المتعلقة بالعمليات الفكرية، أو على الأقل تأخيرها".

التأمل يحدث تغييرات في الدماغ على مر الزمن

أظهرت دراسة أجريت على مجموعة من الرهبان البوذيين من قبل الأكاديمية الأميركية الوطنية للعلوم أن ممارسة التأمل لمدة طويلة تحدث تغييرات فيزيولوجية في الدماغ.

وقارن فريق من الباحثين في جامعة ويسكنسن في ماديسون، بين مجموعة من عشرة طلاب متطوعين مبتدئين في مجال التأمل تبلغ أعمارهم وسطياً 20 عاماً، ومجموعة من الرهبان التيبيتيين الذي مارسوا خلال حياتهم بين عشرة آلاف وخمسين ألف ساعة من التأمل، ومعدل أعمارهم 45 عاماً.

وبينما تسعى مجموعتا المتأملين إلى بلوغ حالة من الرحمة ومحبة القريب، لاحظ الباحثون بواسطة أجهزة تخطيط الدماغ وجود ارتفاع كبير في موجات (+غاما+) ذات الترددات المرتفعة لدى الرهبان البوذيين، فيما بدا وجود هذه الموجات قليلاً عند الطلاب. ويربط بين هذه الموجات التي يعتقد أنها تدل على نشاط العصبونات (خلايا الدماغ) والنشاط الفكري الكبير في الدماغ.

وبينت جميع الاختبارات أن النشاط الفكري الدماغي أعلى بكثير لدى الرهبان مقارنة بالطلاب الجدد.

كما فحص الباحثون النشاط الدماغي بواسطة الرنين المغنطيسي الأمر الذي بين أيضاً نشاطاً كثيفاً لدى الرهبان.

وكان النشاط الدماغي في الجزء الأمامي الأيسر من الدماغ مرتفعاً عند الرهبان، وهذه المنطقة في الدماغ مسؤولة عن المشاعر الإيجابية. وقد هيمن نشاط الجهة اليسرى على اليمنى المسؤولة بدورها عن المشاعر السلبية والقلق.

وتظهر هذه الدراسة أن الدماغ كباقي الجسم، تحدث التمارين فيه تغييرات فيزيولوجية، تماماً كما تؤدي التمارين الرياضية إلى زيادة حجم العضلات في جسم الإنسان.

وذكر الدكتور مانيو وافي من فريق البحث في معهد (بت سيندا) التابع لمستشفى (أورهوست هوسبيتال) الدانماركي أن الاكتئاب يؤدى بصورة مباشرة إلى تلف خلايا المخ، وأن أكثر الناس حزناً أقربهم للإصابات الدماغية.

وأوضح مانيو في اتصال أجرته معه (الجزيرة نت) أن هناك مركزين يقعان على جانبي الدماغ، وهما مسؤولان عن حالات الإحساس والمشاعر، ويتحكمان في العواطف، ويتصديان لأي ضغوط عصبية وعاطفية، مشيراً إلى أن الحزن الشديد والاكتئاب، وتقلب المشاعر والأحاسيس العاطفية القوية، يعرض خلايا جانبي المخ إلى التلف.

وأشار إلى أن تلف الخلايا الذي يتعرض له المكتئب يقع بصورة بطيئة، ولكنه يؤدي في النهاية إلى نتيجة مأساوية، وأن الذين يعانون من حالات الحزن الشديد والاكتئاب هم الأكثر فقداناً لتلك الخلايا الموجودة في هذين المركزين، موضحاً أن تلف الخلايا هناك يؤدي إلى انكماشها وهو ما قد يساهم في فقدان الذاكرة، أو التعرض لإصابات دماغية أخرى.

وقال مانيو إن الدراسة وضعت توصيات كثيرة للحيلولة دون الوصول إلى موت خلايا الدماغ، ونوّه إلى ضرورة قيام المصحات النفسية والحكومات بالتعاون في معالجة الحالات النفسية والعاطفية لدى الناس قبل أن تتحكم فيهم أحزانهم، وتدخلهم في غياهب اكتئاب مزمن يؤدي إلى تلف خلايا يصعب توليدها أو تعويضها بخلايا سليمة.

الاضطرابات العقلية تضاعف مفعول مخدر القنب

كشفت دراسة طبية هولندية أن الشبان المراهقين الذين يستعملون القنب يضاعفون من مخاطر إصابتهم بالاضطرابات العقلية والتصرفات الشاذة والأوهام في المراحل المتأخرة من حياتهم.

وقال البروفيسور (جم فان أوس) من جامعة ماستريخت، في هولندا: إن الدراسة كشفت أن الشباب الذي عانوا في حياتهم من الاضطرابات العقلية أكثر عرضة لأخطار مخدر القنب، وذلك بعد متابعة لـ 2437 شاباً تراوحت أعمارهم بين 14 و24 دخنوا المخدر أربع سنوات متتالية.

واكتشفت الدراسة التي نشرت على موقع (بريتيش مديكل جورنال) الإلكتروني أن الأشخاص غير المصابين باضطرابات عقلية كانوا أقل عرضة، بعد أربع سنوات من التدخين، لتأثير المخدر الذي يزداد مفعوله أربع مرات عند الأشخاص المصابين.

ولم يفهم الأطباء حتى الآن كيف يزيد مخدر القنب مخاطر الأمراض العقلية، ولكنهم يعتقدون أن له تأثيراً على نظام الدوبامين في المخ المرتبط بإحساس المتعة.

التهابات المخ والتفاعلات المناعية وراء مرض التوحد

تساءل باجثون في كلية الطب في جامعة (جون هوبكنز) الأميركية عن إمكانية أن يكون وراء عملية التوحد خلل مناعي ناجم عن التهاب المخ، وعن مدى انعكاسات التفاعلات المناعية التي تصاحب التهابات المخ على المصابين به.

ويرى الباحثون أن التوحد هو نوع من الاضطرابات يمتلك الأشخاص المصابون بها عقولاً قد تكون مختلفة عن العقول الطبيعية.

ويشير أستاذ الأعصاب المساعد وقائد فريق البحث الدكتور كارلوس باردو فيلاميزار أن (هذا الكشف يدعم نظرية التحفيز المناعي بالدماغ كأحد الفرضيات التي قد تسبب التوحد).

وأضاف أن (دور التهاب المخ والتفاعل المناعي الحاصل معه ليس واضحاً بعد من أنهما نافعان أم أنهما يتآمران معا على المخ فيدمرانه خلال أولى مراحل نموه).

وكانت الباحثة (ديانا فارغاس) قد قامت بفحص أنسجة المخ لـ 11 حالة توفيت في حوادث مميتة، وقامت بمقارنتها مع أشخاص لا يعانون من التوحد، فسجلت الفحوص المخبرية تغيرات بالخلايا، وارتفاعاً ملحوظاً بمستويات بروتينات مناعية تدعى "السيتوكين والكيموكين".

ويعلق الدكتور باردو بأن هذه البروتينات ترتبط دائماً بوجود التهابات بالمخ مقترنة بنشاط مناعي، واكتشافها سيفتح آفاقاً جديدة لفهم طبيعة التفاعلات المناعية المسببة للمرض، بالإضافة إلى سلسلة التغييرات الكيمائية التي تحدث في أدمغة مرضى التوحد خلال مرحلة الطفولة والشباب، وهو الأمر الذي يدعم نظرية المناعة.

وتشير الكثير من الدراسات إلى أن من أسباب التوحد وجود عوامل وراثية أو جينية لدى بعض الأسر يمكن أن تمهد الطريق لاضطرابات توحدية، وهو ما يفسر إصابة التوائم المتماثلة بالتوحد.

كما أن هناك بعض الأسباب الأخرى التي يعتقد الباحثون أنها تقف وراء التوحد، كالغذاء وصعوبات الولادة وبعض المواد السامة، والإصابات الميكروبية أو الفيروسية، والتدخين أثناء الحمل ولقاحات الحصبة.

يذكر أن مرض التوحد بات يندرج ضمن الأمراض الشائعة، ويعرف بأنه عبارة عن خلل عصبي عارم يتميز بضعف التواصل الاجتماعي واللغوي، مع ضعف الاهتمامات والنشاطات.

ويعاني المريض به من الانطواء، والعزلة عما يحدث حوله، وقد يصاحبه اضطرابات في السلوك، كالنشاط الزائد، وقلة التركيز، والنوبات العصبية، وصعوبة النوم.

وتشير التقارير إلى أن نسبة إصابة المرض بين الأطفال يصل إلى اثنين إلى خمسة في الألف، ويظهر بصورة مفاجئة في عمر الثانية أو الثالثة، إذ يصعب كشفه عند الولادة.

مقابلة العـــدد

لقاء مع الدكتور محمد أحمد النابلسي
مؤلف كتاب سيكولوجية الشائعة

سيكولوجية الشائعة من فروع التخصص المعروف بسيكولوجية الدعاية وهو فرع يتبع بصورة أو بأخرى إلى علم النفس السياسي، حيث تمتد وظيفة الشائعة من تسويق الأفكار والشخصيات، ولغاية التمهيد للنصر في الحروب.

كتاب الأمين العام للاتحاد العربي للعلوم النفسية، الدكتور النابلسي، يتناول موضوع الشائعة في مداخل أكاديمية – تعريفية ليصل إلى تطبيقات هذا العلم في الحرب العراقية. ونظراً للسبق الذي تشكله هذه الدراسة كان لنا مع المؤلف اللقاء التالي:

• هل كان عدم الاهتمام العربي بدراسة شائعات حرب العراق الأولى مشجعاً لمعاودة استخدامها في الحرب الثانية، وربما في حروب قادمة ضد العرب؟.

•• إن دراسة الوجوه السيكولوجية للحروب، أو لأية كارثة أخرى، هي دراسة واجبة في إطار تحقيق التراكم المعرفي، كما في مجال تفعيل دور الاختصاص في حماية الجمهور من الخدعة. فالدعاية والشائعة والحرب النفسية تعتمد مبدأ خداع الجمهور عن طريق إعادة تصنيع المعلومات ونشرها بصورة مشوهة. والمؤسف أن كل منطلقات شائعات الحرب الأولى أعيد استخدامها في الحرب الأخيرة، الأمر الذي يدل على عدم نشر الوعي ودعم مستوى اللياقة النفسية لدى المواطن العراقي والعربي المتضرر بدوره من هذه الشائعات.

• هل لك أن تعدد لنا هذه الشائعات المتكررة في الحربين؟

•• بداية تم اعتماد قنوات الاتصال ذاتها، وهي البث الإذاعي الذي لا يتعطل بتعطل الكهرباء، أو اللاقطات، أو محطات البث. وكان البث يتم من طائرة تحلق فوق الأجواء المراد تغطيتها بالبث. من هنا كان الراديو وسيلة الإعلام الفضلى في الحربين. أما عن الشائعات المتكررة فنذكر منها: لامبالاة صدام بشعبه، وابتزازه للحجاج، وتحقيق اختراقات في رؤوس النظام (شائعة الخيانة)..إلخ.

• لكن البعض يؤكد صحة هذه الشائعات؟

•• أشرت أعلاه إلى أن الشائعة ليست كذباً. فالشائعة الكاذبة باتت حيلة ممجوجة، ولا يركن إليها إلا في حالات متطرفة. والشائعة الحديثة هي إعادة تصنيع المعلومات الحقيقية، ولكن بتركيبة موجهة وخادعة. فصحيح أن صدام لم يكن كثير المبالاة بشعبه، لكن الأميركيين

قتلوا خلال عام واحد ما قتله صدام خلال ثلاثين سنة من العراقيين، وكذلك دمروا البنى التحتية، وما زالوا يتجاهلون إعادة بنائها... الخ.

*** ماذا عن شائعات الحرب الثانية؟.**

** هي كالعادة مزيج من الشائعات. فمنها ما يسمى بالفاطسة (أي التي تختفي لتعاود الظهور في مناسبة مثل الحرب) ومنها شائعات الخيانة والتسميم (مياه، آبار، قنابل... إلخ) والنصر المبكر، والأسلحة العجائبية، وغيرها. ومنها المتكررة كنسخة عن الحرب السابقة. وأخيراً الشائعات المعاد إنتاجها خصيصاً لهذه الحرب. وأهم شائعاتها التالية:

1- شائعة ملكية العراق لأسلحة الدمار الشامل (كاذبة).

2- شائعة قطع الرأس / أو محاولة قتل صدام بداية للحرب (كاذبة).

3- شائعة هروب طارق عزيز (خيانة).

4- شائعة تغيير خطة الحرب الأميركية (كاذبة).

5- شائعة تمديد فترة الحرب / الحرب الطويلة (كاذبة).

6- شائعة تأخير الهجوم على بغداد (كاذبة).

7- شائعات سقوط المدن العراقية قبل سقوطها الفعلي.

8- شائعة ضرب مقرات القيادة العراقية.

9- شائعة استسلام ألوية عراقية (هربت في ما بعد، ولم تستسلم).

10- شائعة الأميركي المسلم يقتل رفاقه (تبين أنه يهودي).

11- شائعة انتظار حدوث انقلاب على صدام.

12- شائعة الشفقة.

13- شائعة الأسلحة الروسية.

14- شائعة الأسلحة السورية.

هذه كانت الشائعات الرئيسية في حرب العراق. ويجدر القول بأنها وظفت بطريقة مثالية، وتضاعف أثرها آلاف المرات بسبب تطور وسائل الاتصالات. حتى باتت هذه الشائعات تشكل نماذج حديثة وفريدة للدراسة.

*** هل لك أن تعرض لنا تحليلاً مختصراً لأهم شائعة في الحرب على العراق برأيك؟.**

** في رأيي الشخصي أن شائعة بداية الحرب بحجة تحديد مكان وجود صدام وتعجيل الحرب لاغتياله هي الشائعة الأكثر فعالية في حرب العراق، فهذه الشائعة جمعت جملة أهداف. ففي عودة إلى بداية الهجوم العسكري الأميركي صبيحة 20 / 3 / 2003 لوجدنا أنها بدأت بداية نفسية خالصة، إذ ارتبطت بمعلومة مخابراتية كاذبة حول مكان تواجد القيادة

العراقية. فكان إعلان الحرب مرتبطاً بمحاولة قطع الرأس (اغتيال الرئيس العراقي). وهي معلومة بررت الاستعجال الأميركي للحرب بالرغم من تردد الحلفاء ومحاولاتهم لتأجيلها. ولقد نفت المخابرات البريطانية هذه المعلومة نفياً قاطعاً (يعتقد أنه يبرر موقف الإذاعة البريطانية من الحرب العراقية). وبغض النظر عن حقيقة هذه المعلومة ودقتها، فقد نجحت المخابرات في توظيفها نجاحاً باهراً، إذ حقق هذا التوظيف خدمات هامة ممهدة للحرب، وداعمة للتعجيل فيها. ومن هذه الخدمات:

- التظاهر الأميركي بمحاولة تجنب الحرب عن طريق قطع الرأس.
- إعلان تركيز العداء الأميركي على الرأس، وليس على أية أهداف أخرى. وفي ذلك كسب أميركي لقطاعات واسعة من الشعب العراقي، وطمأنة الشعب العراقي ككل.
- قطع الطريق على تردد بريطانيا وبقية الحلفاء (نذكر هنا بمحاولات التملص البريطانية من هذه الحرب. ومنها مشروع النقاط الست، ومن ثم الدعوة لتأجيل الحرب لغاية الخريف).
- إطلاق شائعة موت الرئيس العراقي، والإصرار عليها لعدة أيام. وهدفها إرباك العدو، وتشجيع الفوضى الداخلية. كما امتحنت هذه الشائعة ردة فعل القيادة العراقية لدحض الشائعة (ظهر صدام على التلفزيون).
- التمهيد لمعاودة إطلاق شائعة قطع الرأس قبل الهجوم على بغداد. لكنهم هذه المرة حرموا صدام من فرصة الظهور التلفزيوني (تدمير التلفزيون العراقي، وحصار مكاتب الفضائيات العربية في بغداد).
- تشجيع المتمردين العراقيين على التحرك. أو أقله الاستعداد للتحرك.
- إظهار قدرة المخابرات الأميركية وملكيتها لمصادر معلومات شديدة القرب من القيادة العراقية (بداية نشر شائعات الخيانة المألوفة في كل الحروب).
- الإيحاء بأن الخطة الأميركية للحرب هي غير تقليدية. وهي تنطوي على مفاجآت يمكنها أن تحسم الحرب بصور غير منتظرة.
- تشجيع ظهور بوش بمظهر راعي البقر الأميركي (الكاوبوي) أمام الجمهور الأميركي. فقد بدأت الحرب مع انتهاء مهلة التهديد.
- تعويم المخابرات الأميركية، واستعادة ثقة الأميركيين فيها مع بداية هذه الحرب. وهذا التعويم يخدم هدف إغلاق ملف التحقيق في حوادث أيلول /سبتمبر (يصر بعض الديموقراطيين على أن حرب العراق كانت في جزء منها تهرباً جمهورياً من المسؤولية في حوادث أيلول).

- طمأنة مؤيدي الحرب بإيحاء أن القوة الأميركية قادرة على حسمها بصورة غير منتظرة، وبأن هذه الحرب لن تطول.
- تفشيل خطط الحرب النفسية العراقية، حيث ركز العراقيون على (**معركة بغداد**) في محاولة لتسخيف بداية الحرب ومراحلها الأولى. وشائعة قطع الرأس جعلت الكل يتساءل: هل ستكون هنالك معركة ما في بغداد؟.
- إعطاء بعضاً من عنصر المفاجأة لحرب معلنة سلفاً عبر مهلة التهديد.
- تكريس التفوق والعظمة الأميركيين في ذهن المواطن الأميركي، حيث يملك بوش إمكانية التفكير بقطع رأس المارقين مع استحالة العكس.
- إظهار ابتكارات وخطط وفنون حربية أميركية جديدة للحرب النظيفة.
- حشد المعارضين العراقيين الذين قاطعوا مؤتمر لندن، ودفعهم إلى الاستعجال في ركوب القطار الأميركي.
- إجبار المقاتلين العرب على التريث قبل الذهاب إلى العراق، ودفع المتواجدين منهم إلى الهرب من العراق.
- تحذير الدول المعارضة للحرب من احتمال نهاية درامية سريعة لها.
- تشجيع معارضة الخارج على العودة للعراق لتكون سباقة لجني حصتها من النصر الأميركي المنتظر.
- دفع الأكراد إلى الإسراع في ملء الفراغ التكتيكي المتخلف عن الخطة العسكرية العراقية في الشمال العراقي.
- إرباك الجهات التي تقدم الدعم للعراق، ودفعها إلى التريث في دعمها له.
- تمهيد الطريق أمام شائعات الخيانة العراقية. أعلن رامسفيلد لاحقاً عن وجود خيانات داخل الصف العراقي، لغاية التصريح بمفاوضات أميركية مع ضباط كبار.
- نشر حالة الصدمة بين المدنيين العراقيين عبر الإيحاء بنهاية الحرب قبل بدئها.
- رفع معنويات الجنود الأميركيين والحلفاء.
- الاحتياط لإدانة بوش لشنه حرباً بهذا الحجم للقضاء على شخص كان بمكن الخلاص منه بدون إيقاع أعداد هائلة من الضحايا المدنيين، وبدون شن حرب أصلاً، حيث وظفت هذه لبيان محاولة أميركا تجنب الحرب باغتيال صدام.

- التأثير على معنويات القيادة العراقية، وإثارة هواجس الشك عندها.
- استيعاب المعارضة الأميركية الداخلية للحرب عبر التلميح إلى الطابع المخابراتي للحرب، وبالتالي الاحتياط لوقوع خسائر بشرية أميركية.
- تكذيب وإبطال المعلومات المخابراتية الروسية التي تمكنت من كشف خطة الهجوم الأساسية المتفق عليها مع بريطانيا.

وهكذا بدأت الحرب الأميركية على العراق بداية نفسية تجسدت بشائعة اغتيال القيادة العراقية. وهي حققت مجموعة الأهداف المشار لها أعلاه منذ الساعات الأولى للحرب. ونظراً لكفاءة هذه الشائعة وفعاليتها، فقد أعيد وضعها في التداول خلال الأيام الأخيرة للحرب (عقب قصف مقر اجتماع القيادة في حي المنصور). حيث كان لتكرار الشائعة فعالية مضاعفة لحدوث التكرار في ظروف القصف الأميركي المكثف والصادم لبغداد. وكذلك في ظروف معاناة العراقيين من انخفاض التقديمات الصحية والغذائية والإسعافية.

*** وماذا عن نكات الحرب وهذه الحرب خاصة؟.**

** النكتة هي شائعة منقوصة، بمعنى أن طابعها الهزلي يعفيها من بعض عناصر الشائعة المنطقية. لكنها تتفوق على الشائعة من حيث سهولة انتشارها، وعدم خضوعها للمحاكمة الموضوعية والعقلانية. ولقد تبادلت كل أطراف النزاع في حرب العراق النكات، فكانت هنالك النكات المؤيدة والمعارضة لكل من بوش وصدام وأميركا والحرب... إلخ.

المؤتمر العالمي الثالث عشر للطب النفسي / القاهرة

World Psychiatric Association
Organise
XIII World Congress of Psychiatry
EGYPT - Cairo
September 10-15/2005
Email: secretariat@wpa-cairo2005.com
Website: www.wpa-cairo2005.com

دعوة إلى الأطباء النفسانيين العرب

WELCOME: Invitation from the Congress President

Psychiatry

The 13th World Congress of Psychiatry will take place in Cairo,Egypt from 10 to 15 September, 2005. This is the first time in the history of the WPA that an African and Arab country hosts the World Congress.

From Egypt came the first calendar, the earliest script, the oldest known love song, the first decorated stone monumental building and the tallest tomb. Egypt also has the oldest university in the world (the Islamic University of Al Azhar). It is home to five World Heritage sites: Memphis, capital of the Old Kingdom, with its associated necropolis; the modern city of Luxor with its temples and tombs; all of the Nubian temples from Abu Simbel to Philae; the early Christian pilgrimage center of Abu Mina, and the ancient Islamic quarter of Cairo. Ancient Egyptians knew mental disorders 5,000 years ago. In spite of the mystical beliefs, psychiatric patients were cared for and treated, as were those with physical ailments. In the country that has given birth to the foundations of civilization, we shall organize our World Congress of Psychiatry in 2005 around the theme '5,000 Years of Science and Care – Building the Future of Psychiatry', thus discussing the old and the new with a view on future progress. World Congresses of Psychiatry are held to examine the worldwide status and future directions of psychiatry; increase worldwide exchanges of information among psychiatrists and between psychiatrists and other mental health professionals, as well as patients and their families; improve educational and quality of care standards by providing up-to-date informational and skills development opportunities on important and timely topics, including the presentation of WPA educational programs and other activities;

support and stimulate collaborative research in the biological, psychological and social sciences relevant to psychiatry and mental health; strengthen links among WPA Member Societies and Affiliated Associations; make psychiatry more visible at the regional and international levels, as well as promote the institutional effectiveness and international standing of the host Society, and facilitate the exercise of WPA organizational functions through General Assemblies and other business meetings, in a context where diverse cultures have the chance to interact, learn from and about each other. The Cairo Congress will discuss the state of the art as regards all the complexities of today's psychiatry, through addressing a multiplicity of issues such as human development; biological psychiatry and neurosciences; social and cultural psychiatry; psychiatry in Africa and other developing regions; epidemiology and public health; diagnostic systems; dementia and related cognitive disorders; substance abuse and dependence; schizophrenia and related disor- ders; mood disorders; anxiety, stress and adjustment disorders; dissociative and somatization disorders; eating, sexual and sleep disorders; personality disorders and accentuated personality; child and adolescent mental and behavioral disorders; suicide and other dangerous behaviors; HIV and psychiatry; primary care and mental health; pharmacotherapies; psychotherapies; sociotherapies; prevention and health promotion; ethics, law, human rights and mental health; mental health economics and services research. Several symposia with contributions from all the 55 WPA scientific sections will be organized, as well as special, regular and industry-supported symposia, panels, workshops, seminars, meet-theexpert sessions, forums, debates and posters from East and West, North and South, developed and developing countries, in addition to video teleconferences, new book and journal presentations, new research paper sessions and free oral communications. For the first time in a World Congress, master clinical case conferences will be held with worldwide pioneers in clinical psychiatry, where the opportunity for active participation and intervention of the audience will be available. In fact, over 90% of the participants in the Congress will be clinicians, who need to return home with a matrix for upgrading knowledge and skills, renewing professional and personal relations and establishing new ones. Emphasis on partnership as a vital element of our profession will be the focus of attention, including partnership among mental health professionals, and between them and consumers on the one hand and policy makers on the other, and also the partnership between developed and developing countries. For further details on the Congress and deadlines for submission of contributions, please visit the website www.wpa-cairo2005.com. The four plenary lectures will be delivered by the WPA President and President Elect, the Egyptian 1999 Nobel laureate in Chemistry Ahmed Zewail, and the winner of the Jean Delay Prize 2005 (this is the Nobel Prize of the WPA, usually awarded to neuroscientists of high caliber, most probably from developed countries). For the first time in a World Congress of Psychiatry, a special award for two young scientists in developing countries will be presented: the WPA Okasha Award (see the WPA News in this issue of World Psychiatry for further information). The 13th World Congress of Psychiatry will attempt to translate scientific advances into a better care for mental patients, reflecting the essence of our theme '5000 Years of Science and Care – Building the

Future of Psychiatry'. You are welcome in Egypt to enjoy the recent developments in our profession, while hosted by a country which is the cradle of civilization.

Prof. Ahmed Okasha
President of XIII World Congress of Psychiatry
Congress secretariat
secretariat@wpa-cairo2005.com

المؤتمر 28 للاتحاد العالمي للصحة النفسية الرعاية المتكافئة والصحة النفسية

القاهرة – مصر 8-4 سبتمبر 2005

المؤتمر الثاني الفرنسي الجزائري للطب النفسي

لجزائر 12-13 ماي 2005

الملتقى الفرنكفوني الرابع للأطباء النفسانيين بالممارسة الحرة

الجزائر 19-26 مارس 2005

عن الشبكة العربية للعلوم النفسية الرابط على الإنترنت:

http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Cong.Ar.htm

ماهية الأحلام

تساعد التقنيات الجديدة علماء الدماغ على كشف ألغاز الليل. ويمكن أن ترينا أعمالهم كيف نستفيد إلى أقصى حد من الأوقات التي نمضيها في الفراش.

بقلم: باربرا كانترويتز و كارن سبرينغن

في منتصف الليل، نكون كلنا أشبه بفيليني؛ مبتكر سلسلة من الصور الخاطفة المعدة لشخص واحد. في بعض الأحيان، يكون فيلم حركة، مع مشهد مطاردة يبدو لا متناهيا.. إلى أن يتلاشى ونحن نسقط، نسقط، نسقط في.. حقل من الأزهار؟ ومن هو البستاني الذي يلوح لنا هناك؟ هل يمكن أن يكون أستاذنا للغة الإنكليزية في المدرسة الثانوية؟ لا، إنه جون ستورات، يريدنا أن نجلس على الأريكة إلى جانبه، هل هذه كاميرات تلفزيونية؟ وماذا حل بثيابنا؟ في الصباح، عندما يوقظنا المنبه فجأة، قد لا نتذكر أيا من ذلك؛ أو ربما جزءا صغيرا فحسب، ربما الشعور بالتمدد عراة في مشتل من أزهار الربيع، أو رغبة ملحة لا يمكن تفسيرها في مشاهد برنامج The Daily Show.

هذا، إذن، جوهر الأحلام؛ حيث يكون الواقع والوهم مزيجا غير منطقي وعاديا في الغالب، بل غريب أحيانا. لطالما سحرت الأحلام المفكرين منذ الأزمنة القديمة، لكننا أوشكنا الآن على حل لغزها أكثر من أي وقت مضى، بفضل تقنية جديدة تتيح للعلماء مشاهدة الدماغ النائم أثناء عمله. ومع أن عدد الأسئلة ما زال يفوق عدد الأجوبة، فإن الباحثين يستطيعون الآن رؤية آلية عمل مختلف أجزاء الدماغ ليلا، ويكتشفون كيف يؤثر تنوع الوظائف هذا على أحلامنا. وإلى حد ما، هذا أقرب ما توصلنا إليه لتسجيل عمل الروح. تقول روزالينـد كارترايت، رئيسة قسم علم النفس في المركز الطبي لجامعة راش في شياغو: «إذا أردنا فهم السلوك البشري، فهذا أفضل سبيل إلى ذلك. إن الأحلام هي الفترة التي نروي فيها قصصنا؛ لمساعدتنا على معرفة أنفسنا، وإلى أين نذهب، وكيف سنصل إلى هناك».

والهدف طويل الأمد للأبحاث المتعلقة بالأحلام هو التفسير الشامل للروابط بين النوم والسير، والصورة متعددة الأبعاد للوعي والتفكير طوال 24 ساعة يوميا. وفي غضون ذلك، يساعدنا علم الأحلام على فهم الاكتئاب ومعالجته، والتوتر الناجم عن الصدمة، والقلق ومجموعة كبيرة من المشكلات الأخرى، ويكتشف علماء الأعصاب تدريجيا معلومات جديدة من خلال دراسة فيسيولوجيا الأحلام لدى البالغين والأطفال. ويدرس علماء النفس أيضا الأحلام ليعرفوا كيف يحل الأشخاص العاديون وكبار الفنانين المشكلات في حياتهم وعملهم بـ«الرقود عليها حتى الغد» وبالنسبة إلى الكثير من هؤلاء الباحثين، فإن سرد الأحلام العادية مصدر غني جدا. وقد قام العالم النفساني جي ويليام دومهوف وزملاؤه في جامعة

كاليفورنيا في سانتا كروز، بتصنيف ونشر أكثر من 17000 حلم بدقة وتفصيل. وقاعدة البيانات هذه (dreambank.net) هي مصدر الأحلام المنشورة هنا.

1- تاريخ الأبحاث المتعلقة بالأحلام

أنا مع محلل فرويدي أكبر سنا "يبدو شهوانيا" يريدني أن أستلقي على الأريكة وأتذكر لحظة ولادتي فيما بعد قائلا 3،2،1 أتظاهر، ومن ثم أخبره الحقيقة. وإذ به يخلع ملابسه ويريد أن يطارحني الغرام. وفي تلك اللحظة، تنظر أمي عبر الباب! أتمدد بلا حراك؛ وتقفل الباب فأستيقظ. (ثم أتذكر أنني تمنيت لو بقيت مع محللي).

قبل آلاف السنين كانت الأحلام تعتبر رسائل إلهية، وفي الكثير من الثقافات، ما زالت تعتبر نبوئية. وفي بلاد الإغريق، كان المرضى ينامون في معابد أسكليبيوس، إله الطب، بغية تلقي أحلام قد تشفيهم. ويبدأ علم الأحلام الحديث فعليا في نهاية القرن الـ 19 مع سيغموند فرويد، الذي كون النظرية القائلة إن الأحلام هي تعبير عن الرغبات الواعية التي غالبا ما تكون ناجمة من الطفولة، وكان يعتقد أن استكشاف هذه العواطف الدفينة من خلال التحليل قد يساعد على شفاء الأمراض العقلية. وظل النموذج الفرويدي للتحليل النفسي طاغيا حتى سبعينات القرن الماضي، عندما أظهرت أبحاث جديدة عن كيمياء الدماغ أن المشكلات العاطفية قد يكون لها جذور بيولوجية أو كيميائية، أو حتى بيئية. بعبارات أخرى لسنا مرضى بسبب أمر فعلته أمهاتنا (أو لم يفعلنه) بل بسبب اختلال يمكن شفاؤه بالأدوية.

وبعد فرويد، كان أهم حدث في علم الأحلام اكتشاف مرحلة نوم تتميز بنشاط دماغي حاد وحركة العين السريعة في مطلع خمسينات القرن الماضي. وكان الناس الذين يستيقظون وسط تلك المرحلة يروون أحلاما جلية، مما دفع الباحثين إلى الاستنتاج أن معظم الأحلام تحصل خلال مرحلة حركة العين السريعة. وباستعمال مخطط الدماغ الكهربائي، استطاع الباحثون أن يروا أن حركة الدماغ خلال مرحلة حركة العين السريعة تشبه حركة الدماغ الواعي. وبالتالي عرفوا أن الأمور التي تجري خلال ليلة واحدة أكثر مما كنا نتخيل. لكن ماذا يجري بالتحديد؟

ما زال العلماء غير واثقين من ذلك، مع أن نظرياتهم كثيرة. من جهة هناك علماء مثل آلان هوبسون من هارفارد، يعتقدون أن الأحلام اعتباطية أساسا. وفي سبعينيات القرن الماضي، اقترح هوبسون وزميله روبرت ماكارلي ما سمياه بـ"فرضية التفعيل والتركيب"، التي تصف كيف تتكون الأحلام من خلال إشارات عصبية ترسل أثناء النوم المصحوب بحركة العين السريعة من منطقة صغيرة في أسفل الدماغ تدعى الجسر. هذه الإشارات، كما يقول الباحثون، تفعل الصور التي نسميها أحلاما. وقد عرقل ذلك الأبحاث المتعلقة بالأحلام؛ إن كانت الأحلام إشارات ليلية بلا معنى، فما الجدوى من دراستها؟ وأخيرا، جعلت نظريات جديدة بعض العلماء يأخذون الأحلام على محمل الجد. في عام 1997، نشر مارك سولمز من

جامعة كيب تاون في جنوب أفريقيا نتائج دراسته لأشخاص تضررت أجزاء مختلفة من أدمغتهم؛ وتبين له أن هناك أكثر من آلية لتفعيل الأحلام في الدماغ. ومنذ ذلك الحين، أكد سولمز أن بعض التقنيات مثل التصوير الوظيفي بالرنين المغناطيسي والتصوير المقطعي بإطلاق البوزيترون قد يلقي ضوءا جديدا على أفكار فرويد لأن أجزاء الدماغ الأكثر نشاطا خلال الأحلام تتحكم بالعواطف، وهي جوهر نظرية فرويد حول الأحلام. واليوم، ينظر الكثير من المعالجين النفسانيين إلى فرويد على أنه فاشل، ويتقلبون فكرة أن الأحلام قد تعبر عن أفكار لاواعية، لكنها ليست بالضرورة نزاعات داخلية تعود إلى الطفولة.

ويظن كثيرون أن الجواب يكمن في التوفيق بين فرعي دراسة الأحلام: البيولوجيا العصبية وعلم النفس. وتقول غلين غابارد، أستاذة التحليل النفسي والطب النفساني في كلية بايلور للطب في هيوستن: "كلاهما مفيد، لكنهما مختلفان. وبغية فهم الأحلام بشكل شامل، يجب أن نجيد لغتين: لغة العقل ولغة الدماغ".

2- بيولوجيا الأحلام

الأطباء على السقف يتكلمون مع الناس قائلين إنه لا يجدر بهم أن يكونوا هناك، لأن ذلك خطير. ويعطي أحد الأطباء حقنا لتجميد الدماغ بدلا من شفاء العلل. وأقول لكم إذا مرضت عالجوني، لكن دعوا دماغي كي أحلم.

يمضي البالغون ربع فترة نومهم في مرحلة حركة العين السريعة، ومعظمها حافل بالأحلام. وخلال تلك الفترة، يكون الجسم مشلولا، لكن الدماغ منشغل. وقد وجد العلماء الذين يستخدمون تقنيتي التصوير المقطعي بإطلاق البوزيترون والتصوير الوظيفي بالرنين المغناطيسي لمشاهدة حركة الدماغ أثناء النوم، أن إحدى أنشط المناطق خلال مرحلة حركة العين السريعة هي الجهاز الحوفي، الذي يتحكم بعواطفنا. أما قشرة مقدم الفص الجبهي المرتبطة بالتفكير المنطقي فأقل نشاطا بكثير. وهذا يفسر سبب افتقار الأحلام في مرحلة حركة العين السريعة إلى رابط منطقي. (اكتشف بعض الباحثين أيضا أن الناس يحملون أيضا في المراحل غير المصحوبة بحركة العين السريعة، مع أن تلك الأحلام تكون أقل وضوحا عادة) وثمة جزء ناشط أيضا في الدماغ خلال مرحلة حركة العين السريعة، وهو القشرة الحزامية الأمامية التي تكشف التناقضات. ويعتقد إريك نوفزينغر، مدير برنامج التصوير العصبي للنوم في المركز الطبي لجامعة بيتسبرغ، أن هذا قد يكون سبب تمكن الناس غالبا من حل مشكلات شائكة أثناء أحلامهم. ويقول: "كأن الدماغ يستعرض البيئة الداخلية، ويحاول أن يكتشف ما يجب القيام به، وما إذا كانت تصرفاتنا تتضارب مع شخصيتنا".

قد تبدو هذه مجرد وظائف عقلية حيوية، لكن لم يتمكن أحد حتى الآن من القول إن النوم المصحوب بحركة العين السريعة، أو الأحلام ضرورية للحياة، أو حتى لسلامة العقل. وتعوق مثبطات مونو أمينو كسيداز، وهي نوع قديم من مضادات الاكتئاب، النوم المصحوب

بحركة العين السريعة من دون أي تأثيرات ملموسة، مع أن الأشخاص يختبرون "ارتدادا لمرحلة حركة العين السريعة" – فترة إضافية من تلك المرحلة- إذا اقلعوا عن تناول الدواء. وهذا ينطبق أيضا على مثبطات إعادة امتصاص السيروتونين الانتقائية مثل بروزاك، الذي يخفض الأحلام إلى الثلث أو النصف، ولا يبدو حتى أن الفقدان الدائم للقدرة على الحلم له تأثيرات سلبية معيقة. ويقوم الباحث "الإسرائيلي" بيريتز لافي بمراقبة مريض يدعى يوفال شامتزاني، أصيب بشظية دخلت دماغه عندما كان في الـــ 19 من عمره. ونتيجة لذلك، لا يحظى بنوم مصحوب بحركة العين السريعة، ولا يتذكر أي أحلام. لكن لافي يقول إن شامتزاني، الذي يبلغ الآن الـــ 55 من عمره "ربما أكثر شخص طبيعي بين الذين أعرفهم، وأحد أكثرهم نجاحا". (إنه محام ورسام ومحرر عمود أحجيات في صحيفة "إسرائيلية" شعبية).

ويكمن لغز النوم المصحوب بحركة العين السريعة في أنه موجود في كل مكان، بالرغم من عدم كونه ضروريا؛ على الأقل لدى الثدييات والطيور. لكن هذا لا يعني أن كل الثدييات والطيور تحلم (أو إذا كانت تحلم، فهي حتما لا تتكلم عن ذلك) ويعتقد بعض الباحثين أن النوم المصحوب بحركة العين السريعة ربما تطور لأسباب فيسيولوجية. ويقول عالم الجهاز العصبي جيري سيغل، مدير مركز أبحاث النوم في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس: "ثمة أمر فريد في الثدييات والطيور، وهو أنها تضبط حرارة أجسامها. وليس هناك أدلة حاسمة على وجود حيوانات متغيرة الحرارة تشهد نوما مصحوبا بحركة العين السريعة، إن النوم المصحوب بحركة العين السريعة يسخن الدماغ، أما مراحل النوم غير المصحوبة بحركة العين السريعة فتبرده، كما يقول سيغل. وقد يعني ذلك أن دورات النوم المتغيرة تتيح للدماغ إصلاح نفسه، ويضيف قائلا: "من المرجح أن يكون للنوم المصحوب بحركة العين السريعة وظيفة فيسيولوجية أساسية، وأن الأحلام نوع من الظواهر الإضافية"؛ حصيلة ثانوية خارجية، مثل الرغوة على الجعة.

لكن الأحلام قد تؤدي أيضا الكثير من الوظائف التي لا نفهمها بعد. آلان ريشتشافين، وهو باحث نوم منذ فترة طويلة، وأستاذ متقاعد في جامعة شيكاغو، يقارن الأحلام بالتنفس للحصول على الأكسجين. هذا واجب فيسيولوجي. لهذا السبب تطور جهاز التنفس. لكن حالما يتطور يمكنك استخدامه لأغراض أخرى، مثل النطق أو الضحك أو العزف على الساكسوفون". لعل الأحلام أيضا تكيفت مع أغراض أخرى: "لا داعي لأن تكون أحلامنا شيئا واحدا محددا. هل وعيا شيء محدد؟".

3- حالمون مختلفون: العمر والجنس

طوال الليل، كان جارد ثملا ويغمغم بصوت رتيب متفوها بكلام غير مترابط. وفي النهاية طفح كيلي وزجرته. نعته بالوغد الممل. ثم لاحظت طفلة صغيرة تقف داخل موقد يشتعل. توجهت إليها وقلت بتعاطف: "لا بعد أنك تشعرين بالحر، وغير مرتاحة" فوافقتني الرأي. حملتها، وضممتها مبعدة إياها عن النار.

ولدنا لنكون حالمين؛ مع أنه يلزمنا بعض الوقت لتشغيل كل المعدات. في حين أن الأهل – العتيدين يحلمون بأطفالهم، فإن الأجنة لا تحلم بأمهاتها وآبائها على الأرجح. ويقول مارك ماهوالد، مدير مركز منيسوتا الإقليمي لاضطرابات النوم في منيابوبيس: "كل المرحلة السابقة لولادتنا تقريبا هي نوم مصحوب بحركة العين السريعة. لا أتصور أننا نحل الكثير من النزاعات في الرحم". ويحظى الأطفال بقسط وافر من النوم المصحوب بحركة العين السريعة أيضا، ويعتقد العلماء أنه ربما مجرد تنشيط لنمو الدماغ، ولا ينطوي على أحلام حقيقية. ويرى الباحثون أن الأطفال يجب أن يبلغوا نسبة معينة من النضوج الفكري، في الثامنة أو التاسعة من العمر تقريبا قبل أن تشبه أحلامهم أحلام البالغين".

وقد جمعت إنغ شتراوخ، وهي أستاذة علم نفس في جامعة زيورخ 550 حلما من مجموعة مؤلفة من 24 شخصا تتراوح أعمارهم بين 9 و 15 عاما قامت بدراستهم في مختبرها طيلة سنتين. وتبين لها أن الأطفال يحلمون بالحيوانات أكثر من البالغين، ويبلغون عن كونهم ضحايا أكثر منهم معتدين. وهم يميلون أكثر إلى رؤية أحلام "خيالية إلى حد معقول" في حين أن أحلام البالغين تحتوي على عناصر واقعية أكثر. وتضمن حلم نموذجي خيالي لطفل في العاشرة من العمر قامت شتراوخ بدراسته قطة تستعلم عن طريق الوصول إلى "حمام القطط" وكذلك فإن فتى في الـ 11 من عمره حلم بأن أفعى أرادت ركوب مصعد المتزلجين.

ويظهر اختلاف الأحلام لدى الجنسين عند دراسة أحلام البالغين أيضا. ما هي أكبر خرافة؟ إن أحلام البالغين "مليئة بالجنس" كما يقول دومهوف، مؤلف كتاب The scientific Study of Dreams (الدراسة العلمية للأحلام). وعندما يحلمون بالجنس، غالبا ما تتعلق تلك الأحلام بأشخاص ليسوا منجذبين إليهم، أو بنزاعات على حد قوله: "وغالبا ما لا تكون مناسبات سعيدة". وفي الحقيقة، فإن نحو ثلثي الشخصيات في أحلام الرجال من الرجال؛ غير أن جنس الشخصيات أكثر تساويا في أحلام النساء، وتظهر هذه الاختلافات في الكثير من الثقافات المختلفة. وتتضمن أحلام الرجال عنفا جسديا أكثر من أحلام النساء؛ وغالبا ما تشمل عمليات مطاردة أو لكم أو كسر أو سرقة أو قتل، كما يقول دومهوف. والتعبير الشائع عن العدوان في أحلام النساء يتضمن الرفض أو الإهانة (هذا الفستان يجعلك تبدين سمينة).

إن الموضوع المفضل لدى النساء هو حفلات الزفاف. لكنها لا تكون دائما أحلاما سعيدة إلى الأبد. ويقول دومهوف: "يسوء أمر ما دائما. إنه الفستان غير المناسب، أو الرجل غير المناسب، أو الكنيسة غير المناسبة". وفي حلم مسجل في موقع dreambank.net تكون امرأة على وشك الزواج، وليس لديها ما ترتديه. وتقول: "انتهى بي الأمر بارتداء بنطال وقميص برتقالي مشبك، وخفين، وحزام عليه أجراس، والكثير من الجواهر، وكان شعري مربوطا. وأذكر أنني طمأنت نفسي بالتفكير إن عيد القديسين قد اقترب".

لا عجب أن الأمهات اللواتي أنجبن حديثا يحلمن بأطفالهن، كما يقول تور نيلسن، وهو أستاذ طب نفساني في جامعة مونتريال، قام بتحليل مضمون 20000 حلم جمعها على شبكة

الإنترنت. وفي دراسة منفصلة عن أحلام 220 أما أنجبن حديثا/ تبين له أن الكثير من الأمور السيئة تحدث لأطفالهن؛ تأكلهم القطة أو يضيعون فجأة أو يضعنهم في عهدة قريب يتركهم في مركز تسوق".

4- كيف نستخدم الأحلام

ثمة رجل يتكلم بهدوء على هاتف عمومي. إنه مسلح ويتكلم من دون اكتراث، فيما يطلق النار من رشاش على السلم موديا بحياة بعض الناس. وعندما تفرغ منه الرصاصات يغير سلاحه بهدوء مستخدما بندقية صيد. إنه متزن وشديد البرودة وهادئ ويقتل.

يمكن للأشخاص الذين لا يتذكرون أحلامهم أن يتعلموا تذكرها. وعادة يتذكر الأحلام الأشخاص الأكثر انطواء وذوو التوجهات النفسية. أما الأشخاص العمليون والذين يفكرون بشكل واقعي فلا يتذكرونها على الأرجح. ويساعدك أيضا أن تحظى بقسط كاف من النوم يتسنى لك الوقت لتحلم. وإذا أردت أن تتذكر أكثر، حاول الإبقاء على مرحلة حركة العين السريعة من خلال التمدد وإبقاء عينيك مغمضتين، فيما تكرر سيناريو الحلم في رأسك لتجميده في ذاكرتك. وتقترح كارترايت إعطاءه عنوانا مثل "موعدي مع براد بيت". احتفظ بدفتر ملاحظات قرب سريرك ودون عليه ما يجول في رأسك حالما تستيقظ.

لم عساك تأبه لما يدور في رأسك ليلا؟ بالرغم من الخلافات الكثيرة حول الوظيفة النفسية للأحلام توصل الباحثون في السنوات الأخيرة إلى نظريات مثيرة جدا للاهتمام. وأحد الاحتمالات أن الأحلام تساعد الدماغ على إجراء اختبارات لنظام البث الطارئ الخاص به، وهي طريقة تمهد لكارثة محتملة. لذا مثلا عندما تحلم الأمهات اللواتي أنجبن حديثا بفقدان أطفالهن. ربما يتمرن على ما قد يفعلنه أو على ردة فعلهن إذا تحققت أسوأ مخاوفهن. ثمة أدلة أيضا على أن الأحلام تعزز بعض أنواع التعلم. وقد وجد بعض الباحثين أن الأحلام المتعلقة بمهام جسدية، مثل تمارين لاعبي الجمباز، تعزز الأداء. ويمكن أن تساعد الأحلام أيضا على إيجاد حلول للمشكلات المستعصية، وتقول ديردر باريت، وهي أستاذة مساعدة في كلية هارفارد للطب، ورئيسة تحرير مجلة دريمنغ: "كل شيء بصري جدا قد تساعده الأحلام" وفي كتابها The committee of Dreams (مجموعة الأحلام) تصف كيف أن بعض الفنانين أمثال جاسبر جونز وسالفادور دالي وجدوا الإلهام في أحلامهم. وفي بحثها الخاص عن حل المشكلات من خلال الأحلام، اكتشفت باريت أن الأشخاص العاديين كذلك يمكنهم حل المشكلات البسيطة في حياتهم (مثل كيفية ملاءمة الأثاث القديم في شقة جديدة) إذا ركزوا على المعضلة قبل أن يغفوا).

أيا كانت وظائف الأحلام ليلا، من الواضح أنها تلعب دورا في العلاج خلال النهار. وتقول كلارا هيل من جامعة ماريلاند، التي درست استعمال الأحلام في العلاجات النفسانية، إن الأحلام "مدخل خلفي" إلى تفكير المريض، "فالأحلام تكشف أمورا عنك لم تعرف أنها

موجودة" كما تضيف. والمعالجون النفسانيون الذين تدربهم هيل لفهم أحلام المرضى هم ورثة فرويد، ويستخدمون صور الأحلام لكشف عواطف ومشاعر دفينة. وتؤمن الأحلام أدلة على طبيعة أمراض عقلية أكثر خطورة. فالمصابون بالفصام مثلا يبصرون أحلاما متدنية النوعية، وغالبا ما تكون عن أشياء وليس عن أشخاص. وفي دراسة تجريها كارترايت عن الاكتئاب لدى النساء والرجال المطلقين، تبين لها أن "الحالمين الجيدين" أي الأشخاص الذين يبصرون أحلاما جلية ذات قصة واضحة لا يبقون مكتئبين عادة. وهي تعتقد أن الأحلام تساعد على تنفيس المشاعر القوية. وتقول: "إن الأحلام نشاط متعلق بالصحة العقلية".

غالبا ما يواجه الناس الأحداث المؤلمة من خلال الأحلام. وقد عمد الطبيب النفسي إرنست هارتمان من جامعة تافتس، ومؤلف كتاب Dreams and Nightmares (الأحلام والكوابيس) إلى تحليل أحلام من مجموعة الأشخاص نفسها قبل وبعد هجمات 11 أيلول/سبتمبر (لا أحد منهم يقيم في نيويورك) ووجد أن الأحلام التالية لأحداث 11 أيلول/سبتمبر لم تكن بالضرورة أكثر سلبية، بل أكثر حدة ويقول: "الحدة هي مقياس الإثارة العاطفية" وبالنسبة إلى الذين يعانون التوتر الناجم عن الصدمة، فإن مضمون الأحلام قد يكون مؤشرا لمستوى المعاناة كما يقول الطبيب النفساني توماس مليمان من كلية الطب في جامعة ماورد، الذي يدرس توتر ما بعد الصدمات. وتشير الأحلام التي تحاكي الحادثة الفعلية إلى أن المريض ما زال "عالقا" في تلك التجربة. ويعتقد أن أحد السبل لمساعدة الناس على تخطي هذه الذكريات هو من خلال "التمرين على الإصابة" حيث يتخيلون سيناريو أكثر إيجابية.

لقد أدى كل ذلك إلى إعادة النظر في أفكار فرويد العظيمة، بأن الأحلام "طريق ملكي" إلى اللاوعي. ورسم ذلك الطريق الملكي مهمة شاقة للعلماء الذين يستخدمون تقنيات تصوير متطورة، ويجرون دراسات نفسية في محاولة لتحليل ما نعرفه عن الآلية الداخلية للعقل والدماغ. إن الأحلام على غرار التفكير هي التي تجعلنا بشرا، سواء كنا نستحضر ذكريات مرعبة قديمة، أو نتصور ملذات جدية، ويقول دومهوف: "إننا نحلم بأعمال عالقة" وإذا كنا محظوظين نستيقظ مع بصيرة نافذة لتحقيق غاياتنا.

بمشاركة بات وينغرت وجوش يوليك

بقلم كارتين سبرينغن

في وقت سابق هذا الصيف، نام مايك تريفينو (29 عاما) ما مجموعه تسع ساعات في تسعة أيام، وذلك في محاولته الفوز في سباق بالدراجات الهوائية عبر البلاد بلغ طوله 3.000 ميل. في الساعات الـ 38 الأولى ومسافة الـ 646 ميلا، لم ينم أبدا. وبعد ذلك بدأ يأخذ غفوة قصيرة- من دون أية أحلام يستطيع تذكرها- لم يكن بدأ بتخيل أن فريق داعميه كان

جزءا من مؤامرة لتفجير قنبلة. ويقول تريفنيو الذي جاء في المرتبة الثانية في السباق: "كان الأمر وكأنك تركب دراجتك في فيلم سينمائي. ظننت أنه حلم معقد مع أني كنت يقظا طوال الوقت".

قد تكون حالة تريفينو استثنائية متطرفة، ولكنها تثير أسئلة مهمة: إن لم ننم (أو لم ننم ما يكفي) ما الذي يحدث لأحلامنا؟ وإذا لم نحلم ما الذي يحدث لنا؟ ما الذي يحدث لنا؟ هذه ليست أسئلة أكاديمية أو وجودية بحتة. نحو 40٪ من الأميركيين يقولون إنهم يحصلون على أقل من سبع ساعات من النوم في أيام العمل، ويقول نحو 60٪ منهم إنهم يعانون من الأرق مدى العديد من الأيام أسبوعيا، وذلك حسب ما جاء في استطلاع أجرته رابطة النوم القومية. ويقول جيري سيغل، وهو أخصائي في الأعصاب في مركز أبحاث النوم في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس: "النوم أساسي جدا لكي يعمل الدماغ بطاقته القصوى".

وبالنسبة إلينا نحن الذين نعاني من الضغوط والقلق، ونعمل أكثر مما يجب، فإن الأرق يجعل الأمور أسوأ بكثير. فحين توقظنا مصادر قلقنا في منتصف دورة النوم العميق فإن القضايا التي كان يمكن أن تحل في الأحلام تبقى معلقة من دون حل. وتنزع الأحلام إلى أن تصبح أكثر إيجابية مع مرور الليل، واليقظة قبل الأوان تعمل على تعطيل هذه العملية. وتقول روزاليند كارترايت، رئيسة قسم العلوم النفسية في المركز الطبي في جامعة راش في شيكاغو: " إن الأشخاص الذين يعانون من انعدام النوم يكونون في العادة سهلي التهيج. فهم لم يتخلصوا من المشاعر السيئة".

وكذلك فإن الاكتئاب السريري يتدخل في النوم الصحي؛ والأحلام ففي دراسة نشرت في شهر أيلول / سبتمبر، وجد إريك نوفزنغر وزملاؤه في جامعة بيتسبرغ أن الحالمين المكتئبين يشغلون أجهزتهم الحرفية بصعوبة أكبر من الحالمين الآخرين. ويقول: إن دماغ الحالمين المكتئبين لا يتوقف عن العمل. فهو يواصل التفكير في الأشياء وهو ما يجعل من الصعب على الشخص أن ينام؛ وإذا ما فعلوا فإنها توقظهم في منتصف الليل للعمل على حل جميع المشكلات التي يواجهون".

الفئران التي لا تحصل على النوم العميق تموت في نهاية الأمر، أما البشر فلا يموتون من ذلك. غير أن الحاجة إلى الحلم هي حاجة متواصلة لا تتوقف. وقد أظهرت بعض الدراسات أنه حين يحرم الأشخاص من فترات النوم العميق، يبدأون في اختبار أحلام حيوية مثل التي يرونها في فترات النوم العميق في فترات نومهم غير العميق. وتقول كارترايت إنه بعد أيام من عدم النوم، يبدأ هؤلاء في رؤية الأحلام وهم مستيقظون، كما تظهر تجربة تريفينو.

لا يمكن للمرء أن يخزن النوم أو النوم العميق الذي تصاحبه الأحلام؛ مع أن الجسم يبدو وكأنه تواق لذلك. وحين يصل الأشخاص الذين يعانون من قلة النوم إلى أسرتهم أخيرا، فإنهم يختبرون ما يصفه العلماء بدورات "نوم معادة" أي فترات نوم عميقة طويلة أكثر من المعتاد، وهو ما قد يقود إلى أحلام زائدة في حيويتها، بل وحتى كوابيس. كما يقول سيغل من جامعة

كاليفورنيا في لوس أنجلوس. ويضيف: "النوم العميق خلال فترات نوم الإعادة هو أكثر حدة من الناحية النفسية".

إن كنت تعرف أنك تعاني من صعوبة النوم، فهذا هو ما عليك القيام به: حاول أن تعرف إن كنت تعاني من مشكلة صحية عضوية مثل التوقف عن التنفس المفاجئ أثناء النوم. إن كنت معافى من الناحية الصحية حاول أن تذهب إلى سريرك، وأن تستيقظ في مواعيد منتظمة كل يوم. حاول الابتعاد عن الكافيين والمواد الكحولية قبل النوم. ضع لنفسك طقوس نوم معينة وتجنب الإضاءة الساطعة في غرفة النوم. النوم الجيد يولد أحلاما سعيدة. وتقول كارترايت: "ستعمل بصورة أفضل، وتشعر بقوة أفضل، وتشعر بأنك أكثر إبداعية". ولا غرو أنهم يقولون إن الأحلام حلوة.

بالمشاركة مع بات وينغرت

النفس المفككة
سيكولوجية السياسة الأميركية

المؤلف: محمد أحمد النابلسي.
الناشر: مركز الدراسات النفسية 2003.

يبدأ المؤلف بتقديم تحليل نفسي للشخصية الأميركية ويخلص إلى أن التفكك يميز هذه الشخصية بسبب الموزاييك العرقي والثقافي الأميركي. ويؤكد على أن المادة اللاصقة لهذا الموزاييك هو الرخاء المادي الذي أدمنه الأميركيون. وهو يكمل هذه الدراسة بمناقشة نظرية للبراغماتية ولثغراتها. وهي تتحول إلى أزمات بتأكيد من جورج شوروش في كتابه أزمة الرأسمالية. أما في مجال المستقبليات فقد اكتسبت توقعات المؤلف المصداقية من خلال رؤاه المستقبلية المنشورة في دراساته. وفي مقدمتها تأكيده على أن الولايات المتحدة ستعرف سنوات شديدة الصخب مع نهاية عهد كلينتون. كما لاحظ أن الاقتصاد الأميركي يشارف على الانهيار ويكاد يصل بالعالم إلى حافة الهاوية. وربما عجل الثلاثاء الأسود الأميركي في تحقيق هذه التوقعات.

أيضا يحتوي هذا الكتاب على عروض نقدية لقائمة من أهم كتب الاستراتيجيا الأميركية. التي تطلع القارئ على الاتجاهات الفكرية المتنافسة لرسم الاستراتيجية الأميركية. ومن الكتب المعروضة في هذا الكتاب: (نهاية التاريخ - رقعة الشطرنج الكبرى - سياسة المعرفة — الحرب الافتراضية - أزمة الرأسمالية العالمية - بن لادن يعلن الحرب على أميركا - كتاب بطرس غالي - حياة مادلين أولبرايت - المخابرات في سوق الثقافة — من يدفع للمزمرين - الدول المارقة) وغيرها من الكتب التي تضع القارئ في أجواء صناعة القرار في الولايات المتحدة.

ذهان الهوس الانهياري

قبل التطرق إلى مواضيع اكتشاف المرض، ومحاولة تحديد أسبابه، وانتشاره، نود أن نعطي فكرة موجزة عنه، ونبدأ بتعريف المرض:

أ- تعريف المرض:

ذهان الهوس الانهياري هو ذهان ينتمي إلى مجموعة الأمراض النفسية المزاجية أي تلك الأمراض المتميزة باضطرابات دورية لمزاج المريض ووجدانه. ويتظاهر هذا الذهان لدى نفس المريض من خلال نوبات مرحلية يكون لها حينا طابع الهوس وحينا آخر طابع الاكتئاب وفي العادة تعقب هذه النوبات فترات من اعتدال المزاج والوجدان.

ب- عناصر تمييز المرض:

يمكننا تلخيص هذه العناصر كالآتي:

- اضطرابات رئيسة على الصعيد المزاجي الغريزي (مطبوعة بخصائص الاضطراب الداخلي المنشأ).
- تغيرات تطال الإيقاع النفسي – الحركي للمريض.
- تطورات دورية مع فترات خمود كامل للمرض تتخلل النوبات.

جـ- الأشكال العيادية.

تحدد هذه الأشكال استنادا إلى نوعية اضطراب المزاج، وهذه الأشكال هي:

1- الفترة الهوسية.

2- الفترة الانهيارية.

3- الفترة الهوسية الانهيارية.

أما من حيث تعاقب وترداد هذه الفترات فيمكننا تمييز بشكلين عاديين هما:

1- الذهان وحيد القطب.

2- الذهان ثنائي القطب.

أخيرا، يمكننا تصنيف المرض من حيث أشكال تطوره وهي:

1- المنعزلة.

2- المتقطعة.

3- Mhermittete.

4- المرحلية – الدورية.

5- المتناوبة.

د- تطور المرض.

من الممكن ملاحظة الاختفاء التلقائي لنوبات الهوس أو الاكتئاب (الانهيار)، وذلك خلال فترة تتراوح بين الخمسة والسبعة أشهر. على أن ديمومة الفترة المرضية يمكنها أن تتراوح ما بين البضعة أسابيع، والبضعة سنوات. وهذه الفترات الطويلة يمكنها أن تشكل وتؤلف شكلا عياديا مستمرا للمرض. إلا أن الشكل التناوبي هو الأكثر حدوثا. كما يمكننا أن نشهد تعاقب الفترات المرضية دون أن تتخللها فترات هدوء. ومثل هذا التعاقب يحدث بشكل خاص بعد سن الخمسين. ولا بد من الإشارة إلى أن العلاج الدوائي يساهم، وبشكل فعال، في تقصير أمد هذه النوبات، والتخفيف من حدتها.

بعد هذا العرض الموجز، نأتي إلى بحث مواضيع اكتشاف المرض، ..أسبابه، ومدى انتشاره.

لمحة تاريخية:

إن مرض الهوس الانهياري هو مرض معروف منذ أقدم العصور، فقد وصفه الأطباء المصريون القدماء، كما وصفه الأطباء الإغريق، بطريقة جد موضوعية. وبهذا فإن الهوس والانهيار هما أقدم الأمراض النفسية المعروفة في تاريخ البشرية. فهذا المرض يمتاز بدرامية مظاهره التي تلفت إليه الانتباه حتى من قبل غير الأطباء.

ومع بداية القرن السادس عشر، نلاحظ أن وصف حالات الهوس والانهيار كثيرا ما كان يتداخل مع الفلسفة والدين، الأمر الذي يشتت الجدول العيادي لهذا المرض. ولكن ذلك لم يحل دون كلام الإنكليزي WILLIS عام 1675 عن تعاقب موجات الهوس والكآبة. وأما في فرنسا فقد وصف FARLET عام 1851 المرض بالجنون الدائري، كما وصفه BAILLARGER (1854) بالجنون ذو الشكلين وقد أكد NAGNAN 1890 (احتمال توالي حالة الاضطراب الهوس، وحالة الانهيار لدى المريض نفسه.

ولكن النظرة الجامعة، القائلة بعودة مظاهر كل من الهوس والانهيار إلى منشأ مرض واحد، هي نظرية يعود فضلها إلى المدرسة الألمانية. وكان العالم KNAEPELIN قد أشار إلى ذوبان الحالتين على الصعيد العيادي، ومركزهما في المريض الواحد(وذلك في الطبعة السادسة من كتابه 1899) وقد أشار العالم نفسه في الطبعة السابعة من الكتاب) إلى الحالات المزيجة (مزيج من الهوس والانهيار) و في حينه أثارت هذه الإشارة العديد من المناقشات. وذلك بحيث انقسم العلماء الفرنسيون إلى قسمين، واحد يؤدي طروحات كرابلن ويمثله العلماء (Deny, serieux , Capzas) أما القسم الآخر، فقد تلقى هذه الطروحات بحذر(, Rezis Ballet, Chaslin) وفي وقتنا الحاضر لم يعد هنالك معارضون لهذه النظرية الجامعة، وليس أدل على ذلك من تسمية المرض بـــ (ذهان الهوس الانهياري).

إلا أن تصنيف هذه الحالات وتوزيعها إلى أشكال عيادية خاصة لاقت الكثير من الصعوبات. فقد دلت الدراسات العيادية والوراثية إلى وجود أنماط عديدة للمرض مميزة من حيث طريقة انتقالها الوراثي، كما من حيث إمكانيات تطورها. وهذا ما دفع **Leonard** 1959 إلى اقتراح التصنيف التالي:

أ- الذهان ثنائي القطب (Bipolaine) وتتميز بتعاقب ظهور نوبات الهوس و الانهيار لدى المريض ذاته.

ب- الذهان وحيد القطب: ويتميز بظهور نوع واحد من هذه النوبات.

ولكن أبحاث كل من mendlewice و wimokul دلت إلى وجود فروع عديدة لكل شكل من هذين الشكلين.

وفي النهاية نشير إلى تصنيف الجمعية الأميركية للطب النفسي المتعلق بهذا المرض. فهذا التصنيف لا يأخذ بعين الاعتبار الأساس العضوي المفترض للأمراض النفسية. وعليه أتى هذا التصنيف ليدرج هذا المرض في قائمة الاضطرابات المزاجية، وليقسمه بناء على حدة المظاهر المرضية، عوضاً عن الاعتماد على المعطيات داخلية المنشأة، أو خارجيته، كما تفعل مجمل المدارس الأخرى، بما في ذلك التصنيف الدولي للأمراض النفسية.

هـ- انتشار المرض.

يختلف العلماء اختلافاً كبيراً في تحديد نسب انتشار هذا المرض، والأمراض النفسية، واحتمالات التعرض للإصابة بها، ويعود هذا الاختلاف إلى العوامل التالية:

1- العوامل الاجتماعية الثقافية: ويمكن تلخيصها بالاختلافات الثقافية الهائلة من مجتمع لآخر، للعناصر التالية:

- درجة الوعي الصحي- النفسي.
- درجة الرعاية والأمن الاجتماعيين.
- توافر الأطباء النفسيين وسهولة التوجه إليهم.
- مدى تعاون العائلة والمحيط.
- مدى استعداد المريض للتوجه إلى العلاج الطبي- النفسي[1].

2- عوامل متعلقة بنوعية المرض: في حالة الهوس الانهياري غالباً ما يبدأ المرض بشكل مقنع بمظاهر جسدية أو انهيارية/ اكتئابية داخلية، مما يبعد التشخيص الحقيقي له لفترة.

---

[1] - يلاحظ أن مرضى الانهيار بشكل خاص يرفضون التوجه للعلاج، ويعارضونه بشدة، كما يلاحظ عدم خضوعهم للتعليمات الطبية، وقد ناقشنا هذه المشكلة في كتابنا (الانهيار العصبي) منشورات الرسالة - الإيمان، 1986.

3- عوامل متعلقة بالباحثين: تختلف مدارس الباحثين، وتختلف معها تصنيفاتهم، وعناصر تشخيصهم للأمراض. وعن ذلك ينشأ الاختلاف في النتائج من باحث إلى آخر.

ولكي نأخذ فكرة أوضح عن هذه الاختلافات، وعن اختلاف نتائج البحوث، والإحصاءات، فإننا نورد الجدول التالي:

النسبة العامة						
اسم الباحث	سنة الدراسة	في المدن	في القرى	لدى الرجال	لدى النساء	احتمال الإصابة
Salter,Roth	1969	>	<	٪2.4	٪3.9	٪6.3
Helgason	1964	٪2.18	٪2.74	٪1.8	٪2.5	٪4.3
Winkonetal	1969	>	<	٪2	٪3	٪5
Eyeball	1928	>	<	٪10	نساء+رجال	-
Eyeball	1977	>	<	٪3.3	نساء+رجال	-
Odegaard	1946	>	<	٪0.6	٪0.8	٪1.4
Fremming	1951	>	<	٪1.02	٪2.2	٪3.22
Larsson-sigogenc	1954	>	<	٪0.9	٪1.2	٪2 1
Noris	1959	>	<	٪0.8	٪1.4	٪2.2

ويبدو أن اختلاف احتمالات الإصابة بالمرض لا يتعلق فقط بالعوامل المشار إليها أعلاه، ولكنه يتعلق بعوامل عديدة أخرى قد تبدو لنا ثانوية للوهلة الأولى. وتختصر هذه العوامل كما يلي:

أ- تتفق مجمل الدراسات (انظر الجدول) على ارتفاع نسبة الإصابة بهذا المرض في الريف، وفي المحيط التنافي المتدني.

ب- تشير الدراسة (انظر الجدول) ودراسات عديدة أخرى إلى اختلاف نسبة الإصابة بهذا المرض في الظروف الحضارية نفسها، مع اختلاف الفترة الزمنية.

ت- يلعب الجنس دوراً هاماً في الاستعداد للإصابة بالمرض. وذلك بحيث يتفق جميع الباحثين على زيادة الإصابة به لدى النساء، مع ميل بعضهم إلى اعتبار هذه النسبة متساوية بعد عمر الستين.

علاج المرض

تستخدم الأدوية معدلة المزاج كعلاج رئيسي للمرض، مع مداومة استعمالها وقائياً في فترات خمود النوبات. وتعتبر أملاح الليثيوم العلاج التقليدي للهوس. إلا أن آثارها الجانبية، واحتمالات التسمم بها، والنظام الغذائي الذي تفرضه يجعل استخدامها يواجه معوقات وضع المريض تحت رقابة صارمة. لذلك جرت محاولات استبدالها بمعدلات مزاج جديدة. وفي طليعتها أدوية مضادة التشنج المستخدمة في علاج الحالات الصرعية، حيث بينت الأبحاث فعالية هذه الأدوية في تعديل المزاج، والوقاية من النوبات الهوسية.

أما علاج العوارض المصاحبة، فهو علاج تناذري، بمعنى توجهه لعلاج كل عارض على حدة (العلاج وفق العارض) وهو يحتوي الأدوية المعقلة، ومضادات الاكتئاب التي يتم اختيارها بناء على نوعية العوارض، وخصوصية المريض الصحية.

في ذكرى عبد الحميد علي شتا: كيف نقاوم الظلم [1]

أ . د . قدري حفني

مضى أكثر من عام على واقعة وفاة المواطن المصري الشاب (عبد الحميد علي شتا)، وقد حرصت الصحافة المصرية آنذاك على إبراز أن عبد الحميد قد أقدم على الانتحار بعد استبعاده من قائمة المتقدمين لشغل إحدى الوظائف في التمثيل التجاري في وزارة الخارجية، بمبرر أنه غير لائق اجتماعياً، ومضت الصحف في إبراز مدى تفوقه وتفوق إخوته كذلك، مما يضخم من حجم الظلم الذي حاق به، وأطلقت إحدى الصحف القومية عليه لقب "شهيد الإحباط". وفي مقابلة صحفية مع أحد المسؤولين في رئاسة التمثيل التجاري، ركز على أنه أبلغه بعدم قبوله، ولكنه لم يقل له أن ذلك بسبب أنه غير لائق اجتماعياً، فضلاً عن أن أداءه في بعض الامتحانات كان متوسطاً.

وبدا أن الصحافة، وجمهور المثقفين، قد أدوا دورهم، وأقفل الملف، واختفى الموضوع. ولكني على المستويين الشخصي والمهني لم أستطع إغلاق الملف. وظل السؤال يطاردني: ترى من المسؤول عما حدث؟ قاومت الإجابة طويلاً، وتشاغلت بغير ذلك من هموم الحياة، ولكن السؤال لم يخفت قط. ولم يكن بد في النهاية من الإجابة. وكان عليَّ بحكم تخصصي في علم النفس أن أفسر أولاً لماذا قاومت إعلان الإجابة عن تحديد المسؤول، ولم يكن التفسير صعباً. ذلك أنني أعبر نفسي ضمن المسؤولين عما حدث، ومثل ذلك الاعتراف ليس بالأمر الهين. صحيح أن الكثيرين من أبناء جيلي يشاركونني المسؤولية، ولكن ذلك لا ينبغي أن يخفف عن أي منا وخز الضمير.

لقد تركزت رسالتنا الإعلامية آنذاك على إدانة الظلم والظالمين، وتحميلهم مسؤولية ما حدث ودعوتهم إلى الكف عن المظالم، وهذا حق لا شك فيه. ولكن ماذا عن المظلوم؟ إن أحداً منا لم يهتم اهتماماً حقيقياً عملياً بتوجيه رسالة إلى المظلومين. ماذا تفعل إذا ما أحسست أنك مظلوم؟.

لقد ولد صاحبنا في ظل نكسة حزيران/ يونيو1967، ونما في ظل مؤسساتنا الاجتماعية والإعلامية والدينية والتعليمية، حتى قرر إنهاء حياته انتحاراً في 29 تموز/ يوليو2003. ترى كيف أعددناه لمقاومة الظلم دون أن ينتحر؟ ما هي الأسلحة التي زودناه بها؟. فلنصارح أنفسنا. لقد زودناه بأسلحة فاسدة. ليس هذا فحسب. بل وأغسنا أمامه السبل للتدريب على استخدام الأسلحة الصحيحة. فلننظر إلى طبيعة المناخ الفكري الاجتماعي الإعلامي السياسي الديني الذي تكاتفنا جميعاً على صياغته، بل وما زلنا نرعاه وندعمه حتى يومنا هذا في كافة

---

[1] - "في ذكرى عبد الحميد علي شتا: كيف نقاوم الظلم"، المصري اليوم، السنة الأولى، العدد 107، الثلاثاء 21 سبتمبر/أيلول 2004.

مؤسسات التنشئة الاجتماعية في بلادنا، من الأسرة وجماعات الأصدقاء، إلى المدرسة، والإعلام، والأحزاب السياسية، وبقية المؤسسات الحكومية، بل والأهلية.

ولنبدأ بترسانة الأسلحة الفاسدة. عنوانها باختصار: لا سبيل للحصول على حقك إلا بالقوة. القوة الاجتماعية بأن تكون ذو عزوة، ومن أبناء السادة المقربين للسلطة، أو القوة المالية بأن تكون ثرياً تستطيع أن تتحكم في الأرزاق، فإذا لم تكن من أي من الفئتين، فليكن العنف هو قوتك التي تستند إليها، ولا سبيل لك غير ذلك.

وإلى جانب تلك الترسانة من الأسلحة الفاسدة التي بذلنا غاية جهدنا في تدريب أبنائنا عليها، كان لا بد من إغلاق أي سبيل محتمل لتسلل أية أسلحة أخرى. "إن مؤسساتنا جميعاً فاسدة فلا تعول كثيراً على الشكوى للرؤساء، أو اللجوء إلى القضاء، أو حتى الصحافة. لا جدوى من ذلك كله. المظاهرات والعرائض، وكافة أشكال الاحتجاج المدني عبث. مجرد كلام لا قيمة له. فضلاً عن أنه سيعرضك إلى مخاطر بشعة، ولن يهتم بك أحد في النهاية.

لعل كل هذه الخواطر دارت في ذهن ابننا قبل أن يقدم على إنهاء حياته. لقد استوعب ما لقنّاه له طيلة سنوات حياته، منذ طفولته حتى اللحظة الأخيرة. ترى هل تركنا له خياراً آخر لمقاومة الظلم؟ لقد دربناه تدريباً عملياً مكثفاً على أن السبيل الوحيد لمقاومة الظلم، بل السبيل الوحيد للمحافظة على الحياة، هو أن تكون قوياً مسنوداً اجتماعياً أو اقتصادياً، أو أن تكون قادراً على ممارسة العنف، وهزيمة الظالم. فإذا افتقدت ذلك كله فليس أمامك من سبيل سوى أن تضطر إلى الاستسلام، أو الجنون أو الإدمان، أو أن تختار الفرار بالهجرة لو استطعت، أو الانسحاب من كل شيء. وما الانتحار الصامت إلا الصورة القصوى من درجات الانسحاب. وذلك ما اختاره ابننا. إنه لم يترك وراءه حتى رسالة احتجاج تدين من ظلموه، أو تحملنا مسؤولية ما حدث. لقد أفقدناه حتى القدرة على الاتهام. مجرد الاتهام. لقد أقنعناه أن لا جدوى من كل ذلك، فصدقنا، فانتحر في صمت.

إننا لم نعلمه كيف يمكن أن يقاوم الظلم في ظل اختلال موازين القوى المادية بين الظالم والمظلوم. أخفينا عنه حقيقة أن ذلك ممكناً، وأن الظالم إنما يقوى ويشتط في ظلمه عندما يرى نظرة الرعب والخوف، بل والتوسل في عين المظلوم، وأنه يمكن أن يهتز أمام نظرة غضبى من المظلوم، وأن يرتجف إذا ما صرخ المظلوم محتجاً، بل إنه قد يعيد حساباته، ولو مؤقتاً، إذا ما كانت الصرخات جماعية ومستمرة.

ترى لماذا لم يصرخ ابننا محتجاً عندما أبلغوه بالنتيجة؟. إننا لم نقل له إرفع صوتك واصرخ عالياً إذا ما أحسست بالظلم، فحتى لولم يؤثر ذلك في الظالم، فإن صرختك قد تشجع غيرك من المظلومين الصامتين ليعبروا مثلك عن احتجاجهم على الظلم. لقد علمناه أن الصراخ لا يجدي. فصدقنا، فانتحر في صمت.

لعله توقع أنهم سيلقون به في عرض الطريق، ذلك يمكن أن يحدث طبعاً. ترى لماذا لم يقف في عرض الطريق محتجاً صارخاً مستنجداً بالمارة أو بالسلطات الأعلى أو بالإعلام

خاصة أن هناك من يعرفهم من الإعلاميين؟ مرة أخرى، لأننا علمناه أن كل ذلك لا يجدي، ولا فائدة ترجى من ورائه، فصدقنا، فانتحر في صمت.

لقد قامت في بلادنا مؤخراً العديد من المؤسسات للدفاع عن المظلومين. أنشئت جمعيات للدفاع عن حقوق الإنسان، وتم تشكيل مجلس قومي لحقوق الإنسان، ويبدو أن النية تتجه إلى إعداد مقرر دراسي لحقوق الإنسان، وكلها جهود طيبة دون شك. أن يعرف المرء حقوقه، وأن يجد من يتصدون بشكل قانوني إلى استخلاص تلك الحقوق. ولكن ذلك وحده لا يكفي. إن معرفة المرء لحقوقه قد يؤدي إلى مزيد من إحساسه بالظلم إذا لم يصاحب ذلك أمران:

الأمر الأول: أن نتدرب جميعاً، أطفالاً وكباراً على أساليب الاحتجاج المدني الفعال إذا ما انتهكت حقوقنا. من الضروري أن يعرف الفرد ماذا يفعل إذا ما حيل بينه وبين حق من حقوقه، بل إذا ما حيل بينه وبين الوصول إلى الجهات المعنية باستخلاص تلك الحقوق، بل حتى إذا ما استشعر ظلماً أو تجاهلاً أو تهاوناً من قبل أولئك المسؤولين عن الدفاع عن حقوقه؟. لا بد أن يتدرب على أساليب وأدوات الاحتجاج المدني، وهي أدوات وأساليب عديدة حاول أحد المتخصصين حصرها، فإذا بها تزيد عن التسعين أسلوباً.

الأمر الثاني أن نتدرب، أيضاً، وخاصة ممثلو السلطة ورموزها في كافة المؤسسات الرسمية وغير الرسمية على تقبل مثل تلك الاحتجاجات، وكيفية التعامل معها، وهناك تراث إنساني متراكم في هذا المجال يشمل الالتزام بمبدأ الشفافية، وتفسير القرارات، وفتح الطريق للاتصال المنظم بالمستويات الأعلى من المسؤولين، وإتقان مهارات التفاوض والحوار إلى آخر قائمة طويلة من الأساليب.

لقد استخدمت في ما سبق تعبير "التدريب" عن عمد، فالأمر ليس مجرد تعريف بأساليب الاحتجاج وسبل التعامل معها. نحن في حاجة إلى تدريب حقيقي عملي على مهارات حياتية طال افتقادنا لها، تدريب حقيقي علينا أن نتكاتف جميعاً لإنجازه ومتابعته وتطويره. ترى هل يمكن الجمعيات الأهلية القائمة أن تتبنى ذلك؟ هل يمكن للمجلس القومي لحقوق الإنسان أن يسهم في هذا المجال؟ أليس للدولة دور أيضاً؟.

إن الدولة هي المستفيد الأول على المدى البعيد. إن اختيار العديد من الدول الديموقراطية بما تتضمنه من حقوق الاحتجاج المدني لم يكن مجرد اختيار أخلاقي. إنه في الأساس لخدمة أمن واستقرار الدولة والنظام. لقد اكتشفوا أنه بقدر رسوخ ضمانات ممارسة تلك الحقوق يكون استقرار النظام. إن مجتمعاتهم لا تخلو من عنف، ولا تخلو ممارساتهم السياسية من فساد، ولا يخلو نظامهم الاجتماعي من ظلم، ولكن كل ذلك لا يدفع بالمظلومين إلى مواجهة عنيفة مع النظام تستهدف الإطاحة بالسلطة.

صحيح أن الذين يقدمون في بلادنا على الانتحار من بين المظلومين قلة، وكذلك من يقعون منهم في هوة الجنون أو الإدمان، ولكن لصبر الصابرين على الظلم حدود، وكلما طال الصبر واستمر إحساسهم بالظلم، وافتقدوا ممارسة أساليب الاحتجاج المدني، أصبحوا مهيئين للانفجار عنفاً دون حسابات إذا ما تم إشعال الفتيل، والراغبون حولنا ومن بيننا في إشعال الفتيل كثيرون.

ألا هل أبلغت؟ اللهم اشهد.

صفحات للنفس في التراث العربي
بين بصائر السلف وإبداع الخلف (وتعثر المعاصرين)

أ.د/حسين عبد القادر

"من عرف الحجاب أشرف على الكشف... الحجاب واحد والأسباب التي يقع بها مختلفة"

(النِّفَّرى-موقف حجاب الرؤية)

بدء:

في البدء تحية واجبة، واعتذار كاشف، وتساؤلات لازمة.

أما التحية فلكل الأيادي التي أسهمت في الإعداد لهذا المؤتمر بكل أحرف أبجديتهم، فما أحوجنا معاً في ليل الصمت الأجوف، أن نتذكر مقولة "الكلام أو الموت[1]" وهو ما أثق أنه سيكون حواراً للغد ينبثق عنه مشروع يؤسس للمستقبل بعد طول انتظار. وأما الاعتذار فهو عن قصور في عنوان، أحسبه بذاته كاشفاً لمسارب من لا شعور، وثانية وجدانية كانت تلفني تجاه الموضوع، ذلك أنني ترددت -إذ أرسل إلماحة عن مبحثي هذا لمسؤولي المؤتمر- في إضافة العبارة الأخيرة، والتي حذفتها في حينها، وهي "وتعثر المعاصرين" وهو ما أمسكت ببعض بمسارب دوافعه في ما يتعلق بي أنا نفسي، حيث ملمح لاستلاب وقصور وإدراك نرجسي يعيش الدور وعبره، في إدراك لا يدخلني في علاقة صميمة بالموضوع، بل بصورة تتصل بديناميات عدة لا تخفى على مشتغلين لهم قاماتكم، حتى وإنْ غفلت أنا نفسي عن بعدها، وهنا كان عليَّ أن أكف عن تواطئ مع اللاشعور، مسلماً مع لاكان بأن الشعور -إذ نستبصر- إنما هو حضور الموضوع إلى حد الهاوية. وهأنذا أكمل عنوان المبحث -ومن ثم ما سيكون في المتناول- وهو ما ترددت في كتابته في البدء متذكراً عبارة فيتجينشاين Wittgenstein "لقد اخترع الإنسان المنطوق ليخفي عن نفسه وغيره حقيقة أمره"، وهأنذا أجاهد أن أفهم بعضاً مما كان وراء الإخفاء، ومن ثم وجب علي أن أشير إلى أنني بقدر ما سأتناول من أبعاد في الموضوع، في عنوانه الواجب "صفحات للنفس في التراث العربي بين بصائر السلف، وإبداع الخلف، وتعثر المعاصرين" بقدر ما سيندلع لهب تساؤلات لازمة تمس في بعضها -كما أظن-

---

[1] - هذه العبارة التي عنون بها العلامة مصطفى صفوان كتابه المتفرد الذي نشر منذ ما ينيف عن عقد من الزمان.

Moustapha Safouan. La parole ou la mort. Seuil. Paris. 1933

وقد ترجم إلى الأنجليزية بعد أن أضاف المترجم مارتين توم. علامة استفهام للعنوان.

Moustapha Safouan.: Speech or death? Trean By Martin Thom, Palagrave, England, 2002

بعضاً مما نعول عليه من هذا المؤتمر، لكن قبلها لأعد إلى الموضوع وقد طال بي بدء البدء، والذي أظنه بعضاً من أثَرَة الرجفة، التي أحاول بها، ولما أزل عبور الوقفة التي كنتها قبل كشف التواطئ مع اللاشعور، وهو ما سأحاول معه الانطلاق بالمستدعيات في تعطيل إرادي للريبة ما أمكنني للإجابة في البدء عن تساؤلات أحسبني سأختمها أيضاً بطرح لتساؤلات قد تحتاج لإجابتكم أنتم، وهأنذا أبدأ بتساؤل أول "لم هذا الموضوع"؟.

ما بعد البدء:

أحب في هذا المقام أن أشير أولاً أنني لست بصدد إشكالية حول الأصالة والمعاصرة، أو التراث والتجدد، كما أنني -مع ولع بالتاريخ أعرفه في نفسي- أراني بصدد مبحث إذ أتحاور فيه مع التاريخ، تاريخ التراث العربي للنفس، فإنني أستشرف المستقبل الذي يتحقق بالرجوع إلى الوراء لأصول فكرية هي على صلة بنا في بعضها، مع التسليم بأن ثمة تراكماً معرفياً وتغييراً كيفياً في العلم، علم النفس والتحليل النفسي بخاصة، لم يحدث فحسب، بل وامتد أثره في ما لا سبيل للنكوص عنه، ولكني أرى في القراءة الثانية عديداً من إيجابيات ليس بأقلها، تصحيح بعض المفاهيم المغلوطة والتي أصبحت كالمسلمات رغم عوارها. ومن ناحية أخرى، ولأنني أسلم بمقولة هيجل في "فينومينولوجيا الروح"[2] ، من أن المعرفة المطلقة إنما تظهر في التاريخ وبفضله، ولأني أسلم أيضاً مع فرويد، بأن العثور على الموضوع يعني في الواقع العثور عليه ثانية، فإن جهداً متتابعاً يتلازم مع تعليق مني للحكم -في البدء- وإدراك، بأن البحث عن يقين باطل إنما يسير جنباً إلى جنب مع البحث عن حساسية مغلوطة، ومن قبل ومن بعد، قناعة أتمثلها بأنني بإزاء جهد علمي، وليس بعثاً للاهوت تراثي، مع وعي بأننا نتناول أمس الماضي بعيداً وقريباً لا نهرب للتراث، أو حتى نلجأ إليه دعماً لوهم بإثبات "نحن" فهي في العلم شوفينية لا تعي بأن العلم لا وطن له، لكننا كنا في الآن نفسه بحاجة للاتصالات للبعيد وصداه، في ضوء آخر ما وصل إلينا من جديد، في محاولة لفهمه هو الآخر من جديد، علّنا نمسك بعضاً من اللامحتجب (الحقيقي إن كانتها) في ماهيته، والذي غاب طويلاً، بقراءة تمساك بالمختفي في الظهر، لنرصع ببعض ما فيه مما كان سابقاً أو مناغماً للأحداث مما نتعلمه، ونضع يدنا عليه في العالم اليوم، لنقلل من عثرات البدوجماطيقية الضيقة في لب الثقافة العربية لدى جمهرة ممن أشاحوا عن الأحدث في العلم، وما أكثر حججهم التي تموج فينهر نرجسيتهم وتبدد تراتهم، وتجذب للسباحة معهم من لا يعرفون، فلا أقل من أن يكون هناك جهد علمي قد يسهم في تعطيل قناعات الذات لبصيرة تضمحل معها الأوهام التي تحجم عن معرفة الآخر. نحن لسنا -والحال هذه- بصدد محاولة إحيائية كشكل من أشكال الدفاع في هذه الحقبة من المأزق الحضاري -الثقافي- العلمي الذي تحياد أمتنا، وإنما بصدد جهد علمي يحاول أن يزرع بعثاً للغد، إذ نتمثل الأحدث في ما يسهم به العالم في النفس،

---

[2] - هناك ترجمة رائقة ومتفردة للعربية أحسبها كما يقول جمهرة ممن قرأوا النص بالألمانية تضارع أصله، وقد ترجمها العلامة مصطفى صفوان "علم ظهور العقل. دار الطليعة بيروت"

وبخاصة في التحليل النفسي، مع قراءة متأنية لأمسنا، ففيه بجانب ما كان مرحلة استفاد منها تاريخ النفس الحديث، عديداً من أوجه لو كان كشفها أبكر لاختلفت خطوة العلم في اتساع رؤاها، وما أكثر ما كان في تراثنا ولم نقرأه ملياً، ولو قرأه العالم في مرحلة أبكر لمضى الشوط لما هو أبعد في كثير مما سنعرض له، ويفرض علينا في ما نملكه من تراث دون أن يستلبنا، مع وعي بان الرغبة الإنسانية يلازمها حلم استعادة موضوع مفقود ، وهو في وجه من أوجه بالنسبة مبحثنا تساؤل سأحاول أن أجيب عليه حول الأسباب التي أدت بنا نحن المعاصرين إلى هذه الهوة التي نرى في بعض أشكالها ما يوجب عمل الفكر التحليلي، من قبيل هذه النزعة التي بدأت في العقدين الأخيرين على يد علماء للنفس -وللأسف- حول ما توهموه خطوة بدء على أسلمة علم النفس، وصدرت عنه بالفعل ثلاثة مجلدات تشي بغيبة لرؤية -في ما أظن- لعلم النفس والإسلام معاً[3]. (وما أكثر ما به من محاولة تجميعية افتقدت المنهج فيما افتقدته) ويظل التساؤل الأبعد مدى، لقد كان التراث العربي للنفس منذ الدولة العباسية -ومن قبلها وللحق- في أوج تقدم لم يقف عند المنقول المترجم من التراث اليوناني، بل تخطاه في ما استفاد منه العالم الغربي في نهضته، ولأننا في محفل علمي يحظى بقمم من علماء فرنسا والنخبة من عرب مقيمين بها، فسأكتفي بما قاله البارون كارادوفو. وهو أحد أعلام الاستشراق الفرنسي، وممن اهتموا بابن سينا في مطالع قرن ماض. إذ يرى أن الميراث الذي تركه اليونان لم يحسن الرومان القيام به، أما العرب فقد أتقنوا وعملوا على تحسينه وإنمائه، حتى سلمو للعصور الحديثة"[4] ويضيف سارطون -أحد أكبر من اهتموا بتاريخ العلم: "إن بعض المؤرخين يحاولون أن يستخفوا بفضل الشرق على العمران ويصرحوا بأن العرب والمسلمين نقلوا العلوم القديمة ولم يضيفوا إليها شيئاً، إن هذا الرأي خاطئ... ولولاهم لتأخر سير المدنية بضعة قرون"[5].

وما أكثر ما يمكن أن نستشهد به من آراء لمستشرقين ومشتغلين بتاريخ العلم في الغرب عن فضل الحضارة العربية إسهامات علمائها في شتى مناحي العلوم ومنها النفس، لكن ما أبعد ذلك الأمر عن أهدافنا، إذ أني مشغول بالأكثر عن نكوص واقعنا -في ما يتصل بدراسة النفس- وتعثر خطونا، وما وراء هذه الهوة التي سقطنا في بئرها حتى بتنا في القاع بين قمة أمس ولى لم نتعمق بحثه ودراسته، وقمة معاصرة علينا أن نصل إليها، وقد بلغتها قمم لنا، لكنا في جمهرتنا لم نواصل دربهم، فلا نحن تأسينا من الماضي وتعلمنا درسه، ولا نحن واكبنا الحاضر وأفدنا أمتنا استشرافاً لغد نأمله لها، وأكثر من ذلك كله استشراء منقول في علم النفس، هو بذاته نكوص حتى عن تراث الأمس البعيد، ووقوع في براثن مألوف "لا ينفع وفي

---

[3] - جمال الدين عطية وآخرون: دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية في التراث "عرض وتكشيف" المعهد العالمي لفكر الإسلامي، القاهرة 1992.

[4] - أبو الفتح التوانسي: من أعلام الطب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1966

[5] - أبو الفتح التوانسي: المرجع السابق.

الآن نفسه كنا ممن يرون أهمية عدم إغفال الهوية والثقافية فيما نقدمه لمجتمعاتنا العربية في أحداث ما وصل إليه التحليل النفسي، وذلك فيما سبق وأشرنا إليه من ترصيع المفاهيم والنظريات الأحدث فيما استبصر به المحللون النفسيون اليوم والغد والمستقبل المرئي والبعيد، بما يناغم هذه المفاهيم والمقولات مما سبق به تراث النفس العربي، وبخاصة إذا علمنا أن الأمس يكتم دوماً بعضاً من حقيقة (لا-احتجابه) ولا يبين عنها إلا بمجاهدة نرى أثراً لها في إدراك لمقولة مارلوبونتي "رغم أن العالم هو ما نراه إلا أن ما يجب علينا تعلمه هو أن نراه" وهأنذا أتذكر معها مقولة هيراقليطس" إن اللا احتجاب هو ما يميز الظهور، فالتاريخ بما هو لا -احتجاب"[6] يخفي أكثر ما يظهر.

وآمل أن أعمل على إظهار بعض خفاياه بالرجوع إلى ماض حاضر فينا، حاضر في الأسباب التي أبعدتنا عنه، ويجب أن نجلو صفحاتها لنعرف ما وراء الوقفة التي لم تطوره أو تخطو برؤاه لما هو أبعد، أو حتى بتصويب لمقولات معاصرة لم تع فهمه، إذ أخطأت تأويله، وأبسط من ذلك كله تأكيد لمفاهيم معاصرة ببعض مما فيه مما لم ندرك أنه غاص بها، وقد ينبثق لأحدنا جديد غير مسبوق عبر جدل المعرفة معه، وليتنا نستطيع ذلك أو بعضه بما هو حفريات معرفية تمكن من إضاءات لأحدث ما بين أيدينا "إنه تاريخ جينا لوجي" يعتمد الرجوع إلى الوراء "فهذا الرجوع" هو الذي يقودنا إلى ميدان أهمل حتى الآن وهو أول ميدان يستحق أن يذهب فيه التفكير إلى الحقيقة في وجودها[7]. على حد التعبير هايدجرفي "الهوية والاختلاف"، وهو ما قد يتحقق معه التجاوز أيضاً عندما ينبثق من بين طياته، ما يمكن أن يكون نقيضاً لقائم أو ابتداع لجديد، فقد يبزغ معه مركب جديد تستفيد منه ديالكتيكية حركة العلم، وإن كنت لا أحب أن يكون الأمر مجرد حلم يقظة، هو في صميمه بناء مقنع لعمل قديم يلبس مسوح الجدة.

وهأنذا اتجه اتجاهاً عملياً في مراجعة تقويمية لبعض أعمال السلف والخلف، متذكراً بأن الفكر الحق إنما هو في صميمه تصحيح لمعرفة وتوسيع لأطرها، كما أن بنيته إنما تقول على الوعي بأخطائه، مع قدرة على اختبار الواقع، وفهم بأن التعارض بين الواقع والمتخيل ليس جذرياً، كما أن الاختباء في سكون المألوف يطفئ نور الفهم، وما أكثر من يمكن اختيارهم ممن تناولوا النفس في تراثنا العربي، ذلك أن كتب التراث غاصة بآراء حولها، فهي لا تقف عند الفلاسفة والأطباء فحسب، بل نجدها لدى الفقهاء والمحدثين، بل وفي طيات كتب الأدب وما أكثر ما تحت أيدينا من أمهات[8] تغص بالكثير في مجال النفس، آراءً وممارسة، وبخاصة

---

[6] - أحسب أن المستمع "القارئ الفاضل، يدرك أنني استخدم هنا مفاهيم هايدجر للحقيقة Truth باعتبار أن أصلها في اليونانية "اليثيا" أي اللامحتجبة، ذلك أنها في أصلها محتجبة.

[7] - عبد السلام بن عبد العالي: هايدجر ضد هيجل، التراث والاختلاف، دار التنوير 1985.

[8] - ونستبعد من بينها هذه المجلدات الثلاثة السابق الإشارة إليها، والتي نعتب على من قاموا بالإشراف على إصدارها غيبة منهج كان واجباً في التناول، بجانب حشد مما كان يلزم استبعاده لتعسف في الاستخلاص مع اهتمام بشوارد، لا تنفع، وبعضها قد يرجع لغيبة صرامة كانت لازمة مع الباحثين الميدانيين.

مع هذا الاهتمام الذي تجاوز كل حد، في الاهتمام بترجمة اليونانيات والحصول على أمهات كتبها، حتى أن عديداً من المراجع تنسب إلى هارون الرشيد أنه كان يقوم بنفسه كل عام بغزوات إلى بلاد الروم من قبيل عمورية Amorium وغيرها، وكانت هذه الغزوات تسمى "الصوائف" إذ أنها كانت غزوات صيفية، لم تقف عند بث الرعب في أعداء الخلافة، بل كانت إحدى سبله في الحصول على الكتب، إذ أنه كان يجعل من شروط صلحه مع البلاد التي يغزوها أن يحصل على الكتب التي يريدها، ليقوم المترجمون بترجمتها للعربية.

وما إن تولى ابنه المأمون الخلافة حتى أنشأ دار الحكمة التي بزغ اسمها كدرة عقد على دور التراث العربي في الترجمة والاهتمام بالعلم والعلماء، وإن كان لهذا الوجه الإيجابي سلبياته التي قد نعود إليها، إذ ارتبطت النخبة المثقفة منذ البدء بعالم الخلفاء والملوك والأمراء وما إليهم، وهم من تترى الروايات بأن بعضهم كل يحصل على وزن الكتاب الذي يترجمه ذهباً، وأن بعضهم الآخر ممن عملوا بالطب والفلسفة والعلم وكانوا في معية الطبقة التي تغدق عليهم، نالوا من العطايا إقطاعيات وجوار ودرراً من ذهب، وفي هذه الحقبة والتي ستمتد من القرن الثامن الميلادي وحتى الثاني عشر تقريباً -وإن كان لها آثار لقرون بعدها- ترجم أفلاطون وأرسطو وأبقراط وحتى جالينوس، وبرزت طبقات من المترجمين والعلماء ونحن وإن سنقصر حديثنا عن النفس، فقد اختلطت بالفلسفة وبالطب، بقدر ما تميزت بالتنظير والممارسة، حيث البيمارستانات (مستشفيات الأمراض بعامة والتي كان كثير منها يحوي قسماً لمرضى العقول "المجانين". وما أكثر ما في هذا التراث مما يجب أن يتناول، بالتقويم لا التسليم، ويكفي أن نذكر ببصيرة فرويد في طوبغرافيته الثانية عام 1923 في كتابه (الأنا والهو) وبغض الطرف عن المفارقة بين الرؤية الأميركية (في سيكلوجية الأنا) والرؤية اللاكانية له، إلا أن المسويات الثلاثة للنفس والتي يشير إليها فرويد، الهو، والانا، والأنا الأعلى، نجد ملمحاً لها فيما يورده أبو حامد الغزالي في الجزء الثالث من كتابه إحياء علوم الدين، والذي ترجم للألمانية عام 1913، عن النفس اللوامة (الأنا الأعلى) والأمارة بالسوء (الهو) والنفس المطمئنة (الأنا)، ونحن إذ نسلم بأن هذه الخاطرة لدى الغزالي لا ترقى بحال لما قدمه فرويد وأدخله في نظرية عامة للإنسان، وحتى بفرض إطلاعه على ما أتى به أبو حامد الغزالي لسعة إطلاع فرويد على التراث العربي الإسلامي، وهو الذي يستشهد بجلال الدين الرومي في حالة "الرئيس شريبر" بجانب ما يختتم به كتابه "ما وراء مبدأ اللذة" من اقصيدة الدينارية من مقامات الحريري، لكن ذلك في ذاته -وبغض الطرف عن صحته من عدمه- إنما يشير إلى دلالات أخرى تتصل بقصورنا، وتقصيرنا في النظر إلى تراثنا، والذي انتظرت البشرية طويلاً حتى أتى فرويد ليقيل النفس وعلم النفس من عثراتهما[9].

---

[9] - حسين عبد القادر: إشكاليات حول المشروع الحضاري والانسانيات وقفة حول تخوم التحليل النفسي مؤتمر الجمعية الفلسفية المصرية حول المشروع الحضاري مستقبل العالم الإسلامي، السنة الثالثة، العدد 9، 1993.

وها هو مثال آخر يتصل بابن سينا "الفيلسوف والطبيب"، وسنعود إليه ببعض من تفصيل، يبتدع جديداً في علاج مريض الميلانخوليا، والذي امتنع عن الطعام والشراب حتى نحل، مع هذا يتصل بكونه بقرة، وبعد أن يحار الأطباء في علاجه، يذهب إليه ابن سينا، وكان في ذلك الوقت في إهاب قصاب (جزار) ومعه مساعداه، كان قد أوصى أهله بأن يخبروه بأن الجزار قام لذبحه.

وقد ركب الأستاذ (ابن سينا) وجاء في موكبه المعتاد إلى قصر المريض ثم دخل مع رجلين والسكين في يده، وقال أين هذه البقرة لأذبحها، فقلد الشاب المريض خوار البقرة، مما يعني أنه هنا، فقال الأستاذ: جروها إلى فناء القصر، وأوثقا يديها ورجليها وأضجعوها. فلما سمع المريض هذا جرى إلى وسط القصر واضطجع على جنبه الأيمن... ثم جاء أبو علي (ابن سينا) وسن السكين على السكين، ثم جلس، ووضع يده على خصر المريض كعادة القصابين وقال: وه، يالها من بقرة هزيلة، إلا أنه لا يحل ذبحها، أعلفوها حتى تسمن... وتتابع القصة التي حكاها النظامي والعروضي السمرقندي في الحكاية السابعة من المقالة الرابعة من كتابه جهار مقالة[10].

ولست أدرى هل اطلع جيكوب مورينو Moreno.J مخترع السيكودراما في عشرينات القرن الماضي على هذه الواقعة أم لا، وكنت قد خاطبته في ستينات القرن الماضي متسائلاً عن بعض القضايا الخاصة بالتراث السيكودرامي الفرعوني والعربي، وللأسف لم أحظ برد منه، وما يهمني هنا أي زمان كان يمكن أن يستفاد عبره لو استبصر عالم نفس بهذا التراث مبكراً لنختزل سنيناً وربما قروناً، لكن بقدر ما كان قدر فرويد أن يكتشف البديهي من الأمور، وبقدر ما أوتي حدساً لا يؤتى في العمر مرتين، وبقدر ما استطاع أن يحل اللغز الذائع الصيت، وكان أشد الرجال اقتداراً[11]. وبقدر ما كان العلم محتاجاً لقرون حتى يأتي مورينو على سبيل المثال ويبتدع هذا المنهج العلاجي الجماعي السيكودرامي، والذي كان قدر المحليين النفسيين أن يطوروها، ويمضوا بفنياتها إلى شاطئ آخر من عمق الفهم.

وما أكثر ما يمكن أن نشير إليه من إبداعات وفهم عميق للنفس في التراث العربي، انتظرت الإنسانية طويلاً حتى استبصرت به حركة العلم، سواء أكان ذلك عن نظر في هذا التراث فيما ترجم منه، أم في بصيرة تمضي لما هو أبعد في ما وصلت إليه البشرية التي ما

---

[10] – النظامي العروضي السمرقندي: جهار مقالة، ترجمة عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1949.

[11] – العبارة الأولى مقتبسة من مقولة لفرويد ذكرها أرنست جونز في الجزء الأول من كتابه فرويد –حياته وأعماله "كان قدري..." وأما العبارة الثانية فهي مقتبسة من مقدمة فرويد للطبعة الثالثة من ترجمة بريل لكتاب تفسير الاحلام للإنجليزية" بقدر ما أوتي حدساً لايؤتى في العمر مرتين"، وا/ا الثالثة فهي مقتبسة من أحد أبيات مسرحية سوفكليس "أوديب ملكا" وكانت قد نقشت على أحد وجهي ميدالية تذكارية أهداها تلامذة فرويد له في أحد أعياد ميلاده.

عادت تقنع بالمألوف، بل تمضي إلى ما كان يبدو مستحيلاً. لكني أحسب أن الأوان قد حان لتناول أكثر تحديداً لإشكالية النفس في التراث العربي، وبخاصة في الطب والفلسفة، بين بصائر السلف، وأعني بهم هذا الرعيل الذي امتد من علي بن ربن الطبرستاني في القرن التاسع الميلادي (وإن كان التاريخ يمتد، وللحق، لما هو أبكر بكثير)، والذي كتب "فردوس الحكمة" الذي وَلِهَ به أدوار بروان في محاضراته عن الطب والعربي والتي نشرت عام 1921 وتمنى أن يحققه يوماً ما، وأن يقوم بترجمته، وهو يتناول الفلسفة... والسيكولوجيا...."، ويكفي أن نعلم أن نوعاً من الامتحان التأهيلي في الطب كان قد تقرر عقده لمن يود أن يمتهن مهنة الطب في نهاية زمن أبي بكر بن زكريا الرازي (كبير أطباء مستشفى بغداد الكبير ومؤسس بيمارستانها العضدي) قرابة تسعمائة طبيب، وأحسب أن أبا بكر الرازي يستحق وقفة نتذكر معها أنه صاحب كتاب "المنصوري" (بجانب 232 كتاباً ورسالة)، وقد ترجم المنصوري إلى اللاتينية وترجمه جيرارد الكريموني، وطبع مراراً في ميلانو والبندقية وليون وبادو، وأما كتابه "الحاوي" وهو موسوعة زادت مجلداتها على العشرين لتجمع بين طب اليونان والطب العربي حتى زمانه، وقد ضاع كثيرها، ولم يبق منها سوى عشرة مجلدات ، فقد ترجم للاتينية عديد المرات، كما ترجمت أجزاء منه للفرنسية مع ترجمات للأجزاء المماثلة له من كتاب (الملكي) لعلي بن العباس وكتاب القانون لابن سينا. وهو ما قام به دي كوتج"[12] لكن هناك كتاباً من مؤلفاته أحسبه جديراً بالإشارة لأمور عدة سيبين طرف منها عند تناولنا لأسباب الوقعة أو العثرة أو الهوة بين أمس السلف، والخلف، والمعاصرين، وأعني بالكتاب "الطب الروحاني" والذي يسميه ابن أبي أصيبعة "بطب النفوس" وقد عرض فيه إصلاح أخلاق النفس، وهو عشرون فصلاً[13]. وإن أشار ابن أبي أصيبعة إلى كتب أخرى له في النفس، ومنها كتاب (في أن النفس ليست بجسم.. وكتاب كبير في النفس.. وكتاب صغير في النفس). ومن أقواله التي يوردها له ابن أبي أصيبعة "إن مزاج الجسم تابع لأخلاق النفس وما دمنا في مجال الاقتباس والنقل لما نزل، فها نحن ننقل من كتابه الطب الروحاني، نبذة من مطلع الفصل الرابع، والتي أتت تحت عنوان في تعرف الرجل عيوب نفسه: "من أجل أن كل واحد منا لا يمكنه منع الهوى محبة منه لنفسه واستصواباً واستحساناً لأفعاله، وأن ينظر بعين العقل الخالصة المحضة إلى خلائقه وسيرته -لا يكاد يستبين ما فيه من المعايب والضرائب الذميمة، ومتى لم يستبن ما فيه من المعايب والضرائب الذميمة، ومتى لم يستبن ذلك فيعرفه لم يقلع عنه إذ ليس يشعر به فضلاً عن أن يتعجبه ويعمل في الإقلاع عنه - ينبغي أن يسند الرجل أمره في هذا إلى رجل عاقل كثير اللزوم له، والكون معه... فإذا أخذ الرجل المشرف يخبره ويعلمه ما فيه وما ظهر، وبن له منه لم يظهر له اغتناماً ولا استرخاء... وفيما ذكرنا من هذا الباب كفاية وبلاغ، ومن استعمله لم يزل كالقدح مقوماً مثقفاً".

---

[12] - ادوارد براون: الطب العربي، ترجمة أحمد شوقي حسن، مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1966.

[13] - ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار مكتبة الحياة، بيروت 1965.

وأحسبه درساً في العلاقة بين المحلل والمحلل لمن سمي بجالينوس العرب، وإن لم تمنعه قناعته بعديد من آرائه بالاختلاف معه، والكشف عن كثير من آراء خاطئة له، وقد ترجم كتابه الحاوي الذي يقال إن تلامذته قد جمعوا فيه آراءه في اثني عشر جزءاً كما أسلفنا القول – ولقيمته العظيمة اختصروه عديدون، وترجم إلى اللاتينية عام 1486 في برشيا، ثم طبع بالبندقية عام 1542 وهناك نسخة لما تزال في جامعة كامبردج في مكتبة كلية الملك، King.s College وإن كان براون يرى أن ما بقي من هذا الكتاب هو الآخر لا يزيد عن نصفه وهي متفرقة بين المتحف البريطاني والأسكوريال والبودليان وموسكو وبتروجراد، ودار الكتب بالقاهرة، كما أن بعضها الآخر، موجزاً، موجود في برلين[14]، وتجدر بنا الإشارة إلى أن بعض الحالات الطبية المثيرة التي تشي ببصيرة ورهافة حس وفهم عميق للعلاقة بين العلة والجسمية والنفس، قد جاء ذكر بعضها في (الفرج بعد الشدة) للتنوخي، كما أورد طرفاً منها النظامي والعروضي السمرقندي في (جهار مقالة) لكن حشداً منها كما يقول براون موجود بالمجلد السابع من الترجمة اللاتينية تحت عنوان أمثلة من قصص المرضى، وحكايات لنا من خلط (نتف) ونوادر Depassionilus cordis et splenis وما أكثر ما في التراث مما تنبه إليه الغرب مبكراً، حتى إن هناك طرفة أحسب أن أسماع الرفاق من فرنسا قد يدركون معها بعضاً من مرامينا لتناول هذا التراث بالتقويم لا التسليم، وقد كان أجدادهم قبل أجدادنا أعلم بالأهمية منا، بل هم في كثير من الأمهات من دلونا على مواطن للاهتمام، لولاهم لظللنا في غفلة عنها. وأما الطرفة، فإن بعض أبنية جامعة باريس الطبية في القرن الرابع عشر كان قد أصابها الخلل في وقت كان يعوز مجلس إدارتها المال الكافي لإصلاحها، مما اضطرهم لطلب معونة مائية من أحد رجال المال المعروفين في حينها، والذي طلب –كالعادة– ضماناً للمبلغ المطلوب، ولما لم يكن للجامعة من ضمان غير ما تحويه من كتب، فقد اشترط صاحب المال أن يكون كتاب الحاوي ضماناً لماله(15).

لقد ظلت مؤلفات أبي بكر الرازي، وبخاصة ما ترجم مما وجد منها كالمنصوري والحاوي، من أعظم المراجع التي تعتمد عليها في تدريس الطب في المدارس الطبية الأوروبية حتى القرن الرابع عشر، ولم يبزه في ذلك غير كتاب القانون لابن سينا، وقد كان هذا الأخير رعيلاً وحد آثرناه وجهتنا في مقصدنا للحديث عن النفس عند السلف. فما أكثر الآراء التي تضاربت حول تناوله للعلاقة بين النفس والجسم، وهي القضية التي نحسبها من القضايا المركزية في التحليل النفسي ذلك أن تعدد مراحل رؤية فرويد للحفزة Trieb[16] من محافظة على الذات

---

[14] – أبو الفتوح التوانسي: من أعلام الطب العربي، مرجع سابق.

إدوار براون: الطب العربي، مرجع سابق.

[15] – أبو الفتح التوانسي: من أعلام الطب العربي، مرجع سابق.

[16] – لقد آثرنا استخدام المصطلح الألماني Trieb والترجمة العربية حفزة، ذلك أن الطبعة المعيارية الإنجليزية لمؤلفات فرويد قد ترجمتها بغريزة Insyinct، ورأى العلامة سامي علي ترجمتها للعربية بدافع غريزي ونحسب أن هذا المصطلح يحتاج لمزيد من تناول، وبخاصة بعد الترجمة غير الموفقة له بالإنجليزية.

(أنا) إلى محافظة على النوع (جنس)، ثم كشفه، وبخاصة مع مقاله النرجسية: مقدمة إلى استثمار (الجنس) في (الأنا)، وأخيراً تقسيمه الجديد (في ما وراء مبدأ اللذة)، إلى إيروس وثاناتوس، كذلك يشير في ما يشير إليه إلى محاولة لحل العلاقة ما بين النفس والجسم، وها هو أحمد فائق يدلل -وله الحق- على أن علم النفس باعتباره مرحلة في دراسة الإنسان، فإن حل مشكلة العلاقة بين النفس والجسم تعد أهم خطوة، ويمكن أن تعتبر غاية علم النفس[17]. بقدر ما يشير إلى أن هذه المشكلة ومحاولة حلها تبين كيف أن هدف التحليل النفسي لدى فرويد كان "إقامة علم النفس يقوم على حل مشكلة علاقة النفس بالجسم"، وما أكثر المواضع التي يشير فيها فرويد نفسه إلى أن هدفه الأسمى هو أن يكون التحليل النفسي، بما هو نظرية في الإنسان، ومنهج في التناول، وفنية في العلاج، علم النفس للإنسان، وها هو في خطابه لفليس رقم 24 في الخامس والعشرين من مايو (أيار) عام 1895 يقول له "أن طاغيتي إنما هو علم النفس"، وهو في خطاب آخر رقم 41 بتاريخ الثالث عشر من فبراير (شباط) عام 1896 يقول الفليس "إنني منشغل على الدوام بعلم النفس، إنه الميتاسيكلوجي بالفعل[18]"، وما أكثر ما يشير إليه فرويد فيما يتصل بهذا المعنى، لكن الإشكالية لم تتوقف في علاقة النفس بالجسم، وها هو في تعريفه للحفزة في مقاله عن (الحفزات) الغرائز وتواكبها، يرى أنها الممثل النفسي للمنبهات الصادرة عن الكائن العضوي، وتتغلغل في النفس، وهي في الآن ذاته مقياس للمطالب التي تفرضها على الطاقة النفسية صلة النفس بالجسم[19].

ولا يختلف رأي فرويد كثيراً عن رأي ابن سينا، إلا أن هناك صفحة لابد أن نجلوها في ما يتصل بالصلة بين النفس والجسم لديه، فقد اختلف محققو كتبه في النفس، وشارحوه، لا حول عدد هذه الكتب فحسب، فهذا أمر يسهل النظر فيه، ولكنهم اختلفوا أيضاً حول آرائه في هذه الصلة بين النفس والجسم، ولما كان تحت يدينا كل ما طبع من رسائل ابن سينا في النفس، وقد ذكر الأهواني في عام 1952 أنها أربع رسائل، إلا أن هناك رسالة خامسة أحسبها أكبر من كاهن، وهي الجزء السادس من الطبيعيات في مجموعة الشفاء، والتي أشرف على تصديرها ومراجعتها إبراهيم بيومي مدكور، وقد قام بتحقيق هذا الجزء والمعنون "6-النفس" القس جورج قنواتي وسعيد زايد، وأحسبنا بذلك قد أتيح لنا كل المنشور لابن سينا، وإن كانت هناك شذرات لآرائه في النفس منثورة هنا وهناك، ومن قبيل ما جاء في (جهار مقالة)، بقدر ما نجد آراء متصلة بالموضوع بين طيات موسوعته (القانون) وكذلك (النجاة) و(الإشارات

---

[17] - أحمد فائق: التحليل النفسي بين العلم والفلسفة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1967.

[18] - Freuad,s: The orgins of psychoanalysis, Basic Book> Inc... U.S. A

وتجد الإشارة إلى أن هذه الطبعة التي حررها الثلاثة أرنست كريس، وأنا فرويد، وماري بونابرت، وكتب كريس مقدمة لها، تعتبر في رأينا أدق وأشمل من هذا الجزء الذي تضمنها في الطبعة المعيارية (ol 1 V).

[19] - سامي محمود علي: ثبت المصطلحات، في سيجموند فرويد، المجمل في التحليل النفسي دار المعارف القاهرة 1962.

والتنبيهات)، وهو ما نملك جله من المراجع التي تناولت آراءه مؤلفاته، وبين هذه وتلك نستطيع أن نجمل هذه الآراء في ثالثة مناح هي:

رأي يرى أن هناك فصلاً بين النفس والجسم، ومؤلفات ابن سينا، وهو رأي مدحوض – في ظننا– لكثير من وقائع تفنده، ورأي ثان يرى أن ابن سينا يتأرجح بين الفصل وبين الوصل والتأثير المتبادل بين الجسم وبين النفس، وهناك رأي ثالث يطرح وجهة نظره على استحياء، ويرى أن الصلة وثيقة بين النفس والجسم لدى ابن سينا، وهو الرأي الذي نراه بدءاً من إثباته لوجود النفس بالحدس والاستدلال معاً[20] وما أروعه إذ يقول في المقالة الأولى من الفن السادس من الطبيعيات السابق الإشارة إليها "واسم النفس ليس يقع عليها من حيث جوهرها، بل من حيث هي مدبرة للأبدان ومقيسة إليها، فلذلك يؤخذ البدن في حدها، كما يؤدي مثلاً البناء في حد البناني"[21]. وما أكثر ما يمكن أن نستشهد به في ما بين المتون، فيما يخالف فيه أفلاطون، وإن اتفق مع أرسطو واختلف معه أيضاً، ليبدع جديداً سيردده من بعده، وهو ما نجده لدى أبي سعيد بن بختيشوع[22] الذي يرى النهج الذي تأصل منذ ابن سينا من أن النفس والجسد كل واحد، وأن النفس هي الحاملة للبدن والبدن هو المحمول... فلذلك وجب على الطبيب ضرورة النظر في ما يحدث من قبل النفس من الحركات والأحداث، ليحفظ بنظره في ذلك موضوع صناعته الذي هو بدن الإنسان[23].

وقد أورد ابن بختيشوع، وإن نسبه لجالينوس، عن قصة صبية ألم بها العشق حتى نحلت وأشرفت على الهلاك، وإذ أدرك بحدسه أن وراء مرضها عشقاً، فأمسك بنبضها. ذكر اسماً لغلام كان في موكب أبيه، فاضطرب نبضها مماولة على عشقها لذلك الغلام، ومن ثم نصح أمها بجلية أمرها، ناصحاً زواجها ممن تحب، وهو ما تم لها، حتى أن الصبية وزوجها كانا يجلانه محل الوالد. وهذه الرواية نجدها لدى ابن سينا، وإن كانت أبعد مدى في ما يشير إليه من تداعي الكلمات Word assaciation والذي ابتدعه يونج Jung بعد اتصاله بفرويد، وقد أشار فرويد في المحاضرة الثالثة من خمس محاضرات في التحليل النفسي إلى نجاح يونج وتلامذته

---

[20] – لم نشأ أن نفصّل في ما يدحض الدعاوى الأخرى وهي كثير، ويكفي فيها تلك الآراء التي تدحض نسبة القصيدة العينية لابن سينا، وما أكثر البراهين على دعوانا، لكننا نحسب أن مقامها مبحث آخر في تفصيل ما نراه.

[21] – ابن سينا: الشفاء، الطبيعيات، 6– النفس: تحقيق جورج قنواتي وسعيد زايد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1975.

[22] – أورده ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء السريانيين تحت اسم "عبيد الله بن جبرائيل، وهو أبو سعيد عبيد الله بن بختشيوع بن جبرائيل بن بختشيوع بن جورجس بن جبراتيل. وقد حقق له "فليكس لاين. رسالة في الطب والأحداث النفسية، دار المشرق، بيروت 1677، وهي رسالة نراها جد هامة في الفصل بين الطب والفلسفة، واستقلال الطبيب عن الفيلسوف. ومما يؤسف له أنه لم ينشر من أعماله بجانب التحقيق سوى كتاب الروضة الطبية.

[23] – أبو سعيد بن بختشوع المرجع السابق.

في هذا الإجراء مع مجموعة زيورخ، وإن تطور على يد حركة القياس النفسي في اختيار تداعي لكلمات W.A.T وتجد الإشارة إلى تلك الديناميات النفسية التي تتواكب معها أعراض جسمية لمن يعاني من العشق، وهو ما فصله في كتاب القانون، وأعاد طرفاً منه في النجاة، ويشير في القانون إلى أنه جربه مراراً واستدل به على طاعة الطبيعة (الجسم) للأوهام النفسية.

لقد قام قانون ترابط المعاني لدى ابن سينا في وجه من أوجهه على المخيلة فانطاسيا (فانتازيا) حتى إنه يرى أن الصور التي ترى في المقام، والتي تحس في اليقظة، ليست إلا المرتسمة في الفناطاسيا والمظنون، إلا أن أحدهما يبتدئ من باطني وينحدر إليه، والثاني يبتدئ من خارج ويرتفع إليه، فإذا ارتسم في الفناطاسيا تم هناك الإدراك المشاهد، وإنما يلذ ويؤلم في الحقيقة هذا المرتسم في النفس، لا الموجود في خارج، فإذا ارتسم في النفس فعل فعله، وإن لم يكن سبب من خارج، فإن السبب الذاتي هو هذا المرتسم، والخارج سبب بالعرض[24].

ترى لو أن قارئاً له شغف بالتحليل النفسي قرأ هذه العبارة ولا يعرف قائلها أو كاتبها أليس من الجائز أن يظن أنها لفرويد، أو هي من مقولات التحليل النفسي؟

ما أكثر ما ظلم هذا التراث العربي، والذي انشغل محققوه بنسبة ما فيه إلى صاحبه – وهو أمر طيب- وغير ذلك من أمور تتصل بالسبق أو بالفصل أو بالوصل (للنفس والجسم) لكنهم ولوا وجوههم شطر مباحث لا تتصل بجوهر القضايا التي يثيرها، وأكثر من ذلك تلك القطيعة التي كانت بمعنى الانقطاع، لا بدلالة اللفظ عند باشلار، وإنما بفقدان الصلة مع أمس ظنوه ولّى في سبق من الإحساس بالدونية (تقديساً للوافد وتأليهاً له)، أو استعلاء في غير فهم، بسبب استلاب لم يتدارسوا أمره، ونرجسية لا سبيل لدرء خطرها على الذات والتراث معاً لما تحمله من صلة بالموت!!

لقد توقف الحوار مع أمسنا، بقدر ما توقف مع الأمثل في المعاصر، ركوناً إلى المألوف وما لا قيمة له، وإيغالاً في طلب الأسهل الذي لا يمس عيان ماهية المجهلة، وكلها أمور نستطيع أن نفهم ما وراءها من ديناميات –سنعود إليها في التساؤلات الأخيرة "عما وراء"– بعبارة أخرى عن السببية في ما وصلنا إليه من انقطاع صلة –لا مع المتخطي لعصره في التراث، ويمكن القول بأن فيه ما نستفيد منه اترسيخ الأمثل في الجديد من معرفة، بل مع هذا الجديد الذي يستحثنا على أننا نعرف، لكننا لا نعرف أننا نعرف، ويُلزمنا بفض المجهلة والنضال من أجل معرفة حقة.

---

[24] – ابن سينا: حول النفس، رسالة في النفس وبقائها ومعادها، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني، عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1952.

أليس غريباً أن الرعيل الأول من السلف تواصل بعضهم البعض مع بعد الشقة والزمان، حتى أننا نرى جدلاً وحواراً (نقيضاً أو تواصلاً لولاف "جماع أطروحة") وها هو مثال -مجرد مثال- يتصل بكتاب طب النفوس "الطب الروحاني" السابق الإشارة إليه لدى أبي بكر الرازي، وقد نقضه ابن التمار، ورد عليه الرازي، وهو ما فعله بعد عقود (قرابة قرن من الزمان) حميد الدين الكرماني (وهو راعٍ اسماعيلي) في كتابه "الأقوال الذهبية في الطب النفساني" وذلك في ما يقوله من "أن نبين الخطأ في ما أورده، ونوضح الحق المبتغى في ما خاض فيه وسرده... وجعلناه في بابين مشتملين على أثني عشر قولاً، أحدهما في إبانة الخطأ المستمر على ابن زكريا في طبه الروحاني، وثانيهما في إبانة الحق المستمر في ما هو حق الطب النفساني، وجعلتهما في هذا الكتاب، وسميته الأقوال الذهبية في الطب النفساني، لكونه في ما يصوره من محاسن العلوم النفسانية كالذهب في ما يحوزه من مزاين الأمور الجسمانية[25].

ولست هنا بصدد تناول هذه المناظرات التي يتداعى معها النقيض Anti thesis والجماع Synthesis وما يزرع لتراكم معرفي، وإنما بصدد تساؤل سيتكرر عن هذه الهوة التي فصلتنا لا عن هؤلاء بالتمحيص ولاستبصار والاستلهام فيما كانوا سابقين فيه، ويمكن أن يزرع نبتاً لبصيرة تستفيد من بعض مما فيه، أو على الأقل -كما أسلفنا القول ترصيع مما يوافق آخر ما وصل إليه العلم بالنفس، ومعها فإن في كل قراءة ما يمكن أن يخلص منه مهتم بجديد.

لكن التساؤل يظل ملحاً، لم كانت الوقفة الكأداء، ولم غامت عيوننا عنه وتفتحت له بصائر الغرب، وهو ما نرجئ محاولتنا للإجابة عليه إلى حين، لولا أننا لا نريد أن ننتقل عبر التاريخ لبعض الخلف الذين بعد عهدهم لقرون، وقد آثرنا أن نستشهد بإبداعات بين المنقول المواكب لحقبه، والمبدع السابق لعصره، حتى نجمع بين هؤلاء وهؤلاء من نماذج للسلف والخلف لتكون محاولة الإجابة على الأسئلة الحيرى -إن استطعناها- خاتمة مطاف قد تضيء معالم طريق -إذ نتحاور حولها- لغد هذا التجمع في ما نؤمله به وله ولنا، وأحسبنا في ضوء هذه المتجهات لا نقيم من الماضي نصباً تذكارياً "تشبه الأعراض الهستيرية في كونها رموزاً ذكورية Mnemic symbols"[26].

وتحت يدي الآن كتابان أحدهما لسليمان نجاتي، وقد كان مدرساً للأمراض العقلية ومدرساً للأمراض الباطنية في مدرسة الطب الخديوية المصرية (وهي الكلية التي أنشأها كلوت بك) كما كان حكيماً ثانياً بقسم الأمراض الباطنية في مستشفى القصر العيني، وقد تلقى تعليمه في فرنسا في الرعيل التالي لرفاعة رافع الطهطاوي، وقد أدرك أهمية الطب النفسي فهزته أريحية الغيرة الوطنية، وحثتني تباريح الحمية الغريزية على أن أكون أول من اشتغل من المصريين بهذا الفرع اشتغالاً خصوصياً في البلاد الأوروباوية، فصرفت في

---

[25] - أبو بكر محمد بن زكريا الرازي: رسائل فلسفية "مضاف إليها قطعاً من كتبه المفقودة "دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977.

[26] - Freuad,s five lectures on psychoaalysis, Hogarth prees, London, S,E, vol 11.

الحصول عليه وأنا في تلك البلاد أنفس أوقات الشبوبية، مع الحرص على أوقات تلقي بقية الفروع الأخر[27]، وما إن عاد لمصره حتى أُلقيت إليه –على حد قوله "مقاليد بعض الوظائف الطبية... وما لبث بها غير قليل إلا وجيء بي إلى مدرسة الطب، مدرساً للأمراض العقلية والبتولوجية العمومية و..." وللحق فإن ما جاء بالكتاب في مواضع عديدة يتجاوز في عمق الفهم والإبانة، كثيراً مما تغص به كتب المتخصصين في الميدان الآن. وهو إذ يبدأ بتاريخ الطب العقلي، فإنما ينم عن سعة إطلاع، إذ يقسم هذا التاريخ إلى أربعة أقسام: الدور الإلهي، (ويعتمد من البدء حتى ظهور أبقراط)، والدور الأبقراطي (استمر في التقدم مروراً بثلاث درجات تسمى بالأبقراطية والإسكندرية والرومية) والدور الثالث هو التقهقري (حيث الانحطاط الذي آل الأمر إليه في العصور الوسطى) ثم تراجع بالثاني لحظة التقدم في حقبة الأحياء، وظل التأرجح حتى جاء بينيل، فتقدم للدور الرابع، وهو الدور التقدمي من عهد بينيل (والذي يعرض لطرف من تاريخه منذ أعطى "لقب حكيم من مدرسة تولوز" وتولى بعدها مقاليد مرضى قسم الأمراض العقلية في مدينة بيستر، حيث كان المرضى في حال يرثى لها، كأنهم ليسوا من البشر، ومن ثم بدأ التحسين إلى أن مات بينيل، فورثته في الفضل اسكيرول. ويتواصل تناوله للتاريخ لينتقل لتعريف الجنون والفسيولوجية المرضية والتشخيص العلمي والعملي. وسوابق المريض، وبحث حالته، وما يجب مراعاته إبان تقسيم الأمراض العقلية والهلاوس والتخيل وكيفية معالجتها. والمدهش أنه في تناوله للأمراض العقلية يتناول من بينها ما يطلق عليه الجنون الهستيري والأعراض والتشخيص والمعالجة، وهو يرى أن هذا النوع يمكن حصره في درجات ثلاث رئيسية، وهي الحالة العقلية للهستيريين والهذيان الهستيري، والأعراض والتشخيص والمعالجة، وهو يرى أن هذا النوع يمكن حصره في درجات ثلاث رئيسية، وهي الحالة العقلية للهستيرين والهذيان الهستيري والجنون الهستيري، وقد أقر بأن الحالة العقلية تبتدئ في سن الطفولة "بصفات مخصوصة يستدل منها على الاستعداد للإصابة بالأمراض العصبية، وما أكثر الأعراض التي يذكرها مما يتصل الآن بديناميات الهستيريات"[28].

وفيها ما ينم عن حسن إعداده وقوة ملاحظته. وليت أجيالاً من أطباء النفس المعاصرين، يرجعون إلى كثير مما يبسطه هذا الطبيب المجهول بالنسبة لهم، والذي مضى ما ينيف عن مئة وعقدين من الزمان منذ ألّف كتابه هذا باللغة العربية لطلاب مدرسة الطب الخديوية (عام 1892م) وإن جاء في مجموعة موافقاً للمنقول في عصره مما تعلمه واطلع عليه إبان

---

[27] – سليمان نجاتي: أسلوب الطبيب في فن المجاذيب، المطبعة الطبية الدرية، مصر 1309هـ.

[28] – تجدر الإشارة إلى أنه بدءاً من الحديث عن الأعراض والتشخيص اتضح أنه يتكلم عن الفتيات والسيدات ومن في سن الكهولة منهن، وهو في ذلك متسق مع ما كان شائعاً من أن الهستيريا تصيب السيدات فحسب، ولعلنا نذكر ذلك الهجوم الذي تعرض له فرويد في الخامس عشر من اكتوبر "تشرين أول" عام 1886 في الجمعية الطبية في فيينا، إذ قام بعرض لمشاهداته عند شاركو، وكيف استحال عليه الحصول على حالة لمريض بالهستريا، ولم يجده إلا بعد لأي، وبعد تقديم هذه الحالة لم يحظ بغير النفور وقليل من ثناء.

بعثته في فرنسا، وهو وإنْ حوى في أجزاء منه ما ينم عن عمق البصيرة، فلسنا مستطيعين أن نحكم بأن ما قدمه في هذه الأجزاء إنما هي من نير فكره، متخطياً بها مألوف ما كان قائماً شائعاً آنذاك، وقد يتساءل البعض عن السبب في اختيارنا له من بين الخلف، ونحن لا نعرف له فضل سبق، في غير أن كتابه يعتبر في زمانه متفرداً في تأليفه بالعربية، حتى وإن كان على شاكلة ما هو منشور في حينها باللغات الأجنبية إلا أنه يحمد للطبيب مجاهدته لتعليم أبناء أمته، بما ييسر عليهم الفهم ومواكبته لمعارف عصره في علم النفس المرضي والطب العقلي، وليت أجيالاً بعده واصلت دربه وتقدمت بمعارفها لتواكب ما هو قائم الآن بعصرنا وفي كل يوم، نحن فيه بإزاء جديد لمَّا يصل إلينا بعد، وهو إن استوعبه البعض -وهو قليل- ففي ذلك ما يشير إلى تدهور في العملية التعليمية، وتعثر في المتابعة، ومواكبة تطور، أصبحت فيه عتبة الزمن طرفة عين، وفي كل طرفة جديد، وليت جمهرة أطباء النفس في جمهرتهم (لا في الندرة منهم) في بلادنا، يتناولون مسائل علم النفس المرضي والطب النفسي بما تلزم به أخلاق العلم، من متابعة واجبة عن يقين علمي، لا عن ظنون وعنعنات هي بعض مغبة من فساد العملية التعليمية.

وها هي المستدعيات تقودني لإشارات عجلى لكتاب ألفه الشيخ حسن توفيق، مدرس اللغة العربية في المدرسة الشرقية في برلين، وجاءت طبعته الأولى في جزأين عام 1891،1892 مواكباً تقريباً لتاريخ إصدار "فن الطبيب في علم المجاذيب" مما يدل على أن علماء هذا الزمان كانوا مهمومين بأبناء بلادهم، بعد وقوعها في براثن الاحتلال الإنجليزي (1882). وقد اشتمل الجزء الثاني من كتابه، وهو الخاص بعلم النفس، على أبواب أربعة، ما بين النفس ونسبتها إلى الجسم، ثم في التصور النفساني، حيث التفكير والتذكر والتخيل والتنبيه، مع تذييل في الأنا والنحن. وأما بابه الثالث فقد تناول الإحساس النفساني من أحاسيس صورية، وأخرى مادية، لينتقل إلى بابه الرابع، كي يتناول فيه الطمع والإرادة النفسانيين، ليضع خاتمه له في ملحوظات عن نشأة الطفل من حيث الجسم والنفس[29] وياله من جيل لم يقنع إلا بالمجاهدة مع النفس، وانقطعت صلتنا بهم استشرافاً لمستقبلنا، فضاع منا حاضرنا.

وها نحن ننتقل لثالث من هذا الجيل، ويحتاج منا لوقفة قبل التساؤلات التي طال تطلعي إليها لما أتوقعه من الحوار حولها، ذلك الحوار أظنه قد يكون نقيضاً وتواصلاً وجدلاً ديالكتيكياً يبزغ بالمركب الملاف (الجماع) الذي أستبصر منه ما قد يكون من أشد لما تزل لاغتراب في الدور، وعندها فإن صدى ثالث مشترك قد يتلازم مع انتباه محلق Hovering attention نأمل

---

[29] - يوسف مراد: الدراسات السيكولوجية في مصر المعاصرة، في يوسف مراد والمذهب التكاملي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1974.

وتجدر الإشارة إلى أن مراد وهبة -وهو من قام بإعداد وتقديم هذا الكتاب قد أشار إلى أن هذه المقالة كانت مبحثاً ألقاه العلامة يوسف مراد في حلقة دراسية انعقدت بالجامعة الأمريكية (9-13) ديسمبر/كانون الأول 1963.

أن يسهم في الكف عن دفاعات لا شعورية حتى لايزداد الموقف عماء، أما الآن فلنلق نظرة على أول كتاب باللغة العربية في العصر الحديث يحمل عنوان "علم النفس" وقد ألفه الشيخ محمد شريف سليم، وانتهى مقدمته بتاريخ تأليفه بعد أن قال: وأسأل الذي وفقني لتصنيفه أن يقرن انتشاره بالنفع العميم، وأن يجعل صوابه باباً إلى اجتلاء الحكمة، وخطأه طريقاً لمواقعه الصواب تحريراً في 8 ربيع الأول 1313 الموافق 28 أغسطس (آ ب) 1895[30].

وأحسب أن كلما الرجل تشى بسمت عالم أراد أن ينفع أبناء بلده –وهو ما تحقق لما له بعد حين– إذ قررت وزارة المعارف (التربية والتعليم الآن) طبع هذا الكتاب لمدارس المعلمين والمعلمات 1911، ونستطيع أن ندرك من أبواب الكتاب، وهي تسعة عشر باباً كيف اجتهد هذا العالم في تأليف مادة كتابه، والتي يشير إلى أنه كابد في سبيلها الأتعاب والمشاق، تارة من اللغة الأجنبية، وتارة من الأسفار العربية، والتقاط ألفاظه كلمة كلمة من كتب شتى.

ولو أننا ألقينا نظرات عجلى على نتف مما فيه لرأينا عمق فكر الرجل وسبقه لزمانه، ومن ذلك أنه يبدأ كتابه بتعريف لعلم النفس باعتباره علماً "تعرف به الآثار النفسانية والقوى الناشئة عنها تلك الآثار". وهو يرى أن هذا العلم في غاية السهولة، مدللاً على ذلك بشاهد قرآني، "بل الإنسان على نفسه بصيرة" ولا غرابة في ذلك وهو الشيخ الذي يردف ذلك بفائدة عظيمة على حد قوله يستشهد به ناسباً التذكرة بها إلى سقراط وهي الإنسان الذي يعرف نفسه بنفسه، ونحسبها اجتهاداً منه في ترجمة العبارة الشهيرة "اعرف نفسك" ومن بدائع الأمور أنه يرى مناقب هذا العلم ذات نفع عظيم في ميادين شتى، من التاريخ إلى السياسة، إذ يقول "فبدون هذا العلم لا تكون لدراسة التاريخ ثمرة أصلاً... وعلى هذا العلم مدار كبير في السياسة والإنسان نفسه، بعد الشرائع السماوية، هو المشرع لنفسه ما يجب عليه فعله أو تركه... وعلم النفس، معرفته ضرورية لإتقان فن التربية، إما في التربية الأدبية... وإما في التربية العقلية... وحتى لا تستغرقنا صفحاته وأبوابه، وما أكثر ما في جلها من جديد لا يقف عند ارتباط علم النفس بعلم اللغة، الذي أفرد له فصلاً خاصاً سابقاً لأفكار كثيرة عند دي سوسير، كما يكتب فصلاً في الملاحظة النفسية والملاحظة الغيرية، حيث ملاحظة الغير ليست قليلة الأهمية في هذا الموضوع ...نعم، الوصول إلى غور ما عليه الغير، والوقوف على حقيقة سريرته... ومن عود نفسه مطالعة ما في ضمائر الغير بواسطة ما يظهر عنهم من الإشارات الطبيعية وفلتات اللسان ومنازعة النفوس إلى أهوائها، أوصله ذلك إلى صدق الحس، وإحكام الفراسة، وإتقان النياس، وهو يضرب الأمثلة على بصيرة التعرف على السرائر (وهي أقرب في ما يذكره إلى اللاشعور، وهو القائل كما نقلنا في الأسطر السابقة أننا نتعرف عليها، في ما تبين فيه، من فلتات اللسان) بشواهد وأمثلة رائقة الصور من التراث العربي، وإنْ

---

[30] – كتاب علم النفس: الشيخ محمد شريف سليم، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1916 وهي الطبعة التي نملكها، ونحسبها طبعة متأخرة من طبعات الكتاب، إذ أن وزارة المعارف قررت طبع هذا الكتاب لمدارس المعلمين والمعلمات منذ عام 1911.

ربط ذلك كما نقلنا لتونا عنها بالفراسة، وبالها من فراسة وبصيرة أيضاً أن يربط ما بين علم النفس واللغة ارتباطاً عظيماً. وذلك، لأن علم النفس يبحث عن أحوال الناس في أفكارهم وطبائعهم وميولهم وأهوائهم وغيرها، وعلم اللغة يبحث عن العبارة عن هذه الأحوال، وتعلق المعاني بالمباني، وعلم بهذا الوعي باللغة والإنسان، كان طبيعياً أن يرفض القول الشائع في عصره وهو جد قريب من نشأة علم النفس على يد فونت، لكنه وهو السابق عصره يقول وأدى بعض الفلاسفة الطبيعيين إلى القول بأن علم النفس لا بد أن يكون من فروع علم وظائف الأعضاء مدعين أن وظائف الحياة الطبيعية والأدبية إنما يتأدى كل منها بواسطة الأعضاء.. ووظائف الحياة الأدبية "كالتفكير والإحساس" تتأدى بواسطة المخ والأعصاب، وما يتأدى بواسطة الأعضاء ينبغي أن يبحث عنه في علم وظائف الأعضاء، وهذا بمعزل عن التحقيق، وها هو يرى في فصل عن اختلاف الشعور خفاء ووضوحاً، كيف أن الشعور قد يكون في غاية الخفاء،وقد يكون في نهاية الظهور... على أن الناس ليسوا سواء في هذا: فمنهم من يكون شعوره نوراً على نور، وذلك هو اليقظي الذي لا تحجب عنه دقائق الأفكار، ومنهم من يكون شعوره مظلماً لا يتنور ما يجول فيه فكره إلا كتنور الأعشى، ثم إن للعوارض الزمانية مدخلاً في إضاءة الشعور.

ترى هل نزيد مما قاله في تداعي المعاني، والتي رأى أنها تشمل تداعي الوجدانيات، كما تكلم عن أسبابها الاتفاقية (كالاقتران الزماني والمكاني والتشابه والتباين) والعقلية، وقد رأى أنها كثيرة، كالانتقال من معنى السبب إلى معنى المسبب وبالعكس، وهو ما قاده في الباب التاسع إلى الخيال والتخيل والوهم، ثم هو يعرج على كيفية تعلم الأطفال لغتهم، وكيف أن لغة الأمة إرث عام يأخذه الخلف عن السلف.

وأحسبني سأكتفي بهذا القدر من خير خلف لخير سلف. لكن يبقى السؤال ما الذي تأدى إلى هذه الهوة بيننا وبينهم ، ذلك أننا نعد المعاصرين في جمهرتنا -إلا من ندرة- كان قدرها الذي اختارته، أن تحلق بعيداً، فهي وإن غادرت أرضها، فقد أنقذت عقلها، ولم تركن إلى سكون المألوف، وهكذا انتقلت إلى شاطئ آخر من معرفة أبدعت معها في آفاق ممتدة للبعيد. ولم يكن لتراث أمسها بالنسبة إليها أية ضرورة، وإن لم يعن ذلك أنها ليست مهمومة بوطنها الأم وحال نكوصه، ومصارع يومه، والهوة المأساة التي تنهد إلى مالا قرار. بل وربما أثّاقلت غربة الكثرة منهم بما يعلمونه عن أوطانهم بأكثر مما يراه من في داخلها، وبا له من ليل يمتد بنسيج الأسى على أمة صارت أمه. لكن ذلك أيضاً يزيد من تنويعات التساؤلات مهما صمتت أبجديات لها على اللسان.

ومرة ومرات لِمَ كانت الوقفة، ولِمَ انقطع التواصل مع الأمس، وإن كن، وللحق، قد أصبحنا بلا حاضر، إذ غاب عنا المستقبل؟!

أظن أن هناك عوامل موضوعية لا يخطئها البصر في العلاقة بين قوى الإنتاج في بناء تحتي، ومن المنطقي أن تكون ثقافته من التدني الذي نراه في بناء فوقي، لكننا مع التسليم

بصحة هذا التأويل الذي يعود بنا في عمومه لإدراك الواقع اجتماعي -اقتصادي- سياسي يتحكم في الظاهرة، ولا ننكره، إذ يعزف لحن الموت على أوتار من معاناة، لا يجب أن يحول بصائرنا عن أبعاد نفسية علينا أن نمسك بها، أو نميزها في أنفسنا أو بأنفسنا حتى لا نقع في هوة التخفف من وطأة المكبوت، بالإنكار، وأظن -وهو يقيني هذه المرة- أن الإنكار وسيلة لمعرفة المكبوت، وهو من ناحية أخرى يؤدي إلى الامتناع عن الاستبصار بالمحتوى الشعوري (الطريف أنني أردت كتابه "الاستبصار بالمحتوى اللاشعوري" فإذ بي أكتبها بالمحتوى الشعوري) ولأن ذلك صحيح، إذ اللاشعور متضمن في الشعور (في المنطق والفعل) فها أنذا أحاول أن أحل اللغز الذائع الصيت، إذ أني مع التسليم بكل ما سيقال، وأتوقع سماعه عن الاستلاب، أو اغتراب الأنا، وقد كان لي حظ قراءة بعضه بسبب هذه الرابطة العميقة التي تتعانق فيها القلوب بين الصحاب، ولا أقول تتوحد فيها، ففي التوحد نقصان، بقدر ما فيه من ثنائية وجدانية، إلا أنني سأمضي إلى جوهر ما أراه علّية العلل، وقد انبثق عليَّ الخاطر كالكشف، إذ تذكرت مساهمة في علم النفس الجمعي لكارل أبراهام عن الحلم والأسطورة[31] كان قد رُبط فيها بين الحلم والجماعة، وللتو -وبالاقتران- (على حد قول أبي بكر الرازي-وابن سينا-إلى أن نصل إلى محمد شريف سليم) تذكرت أيضاً أن أنزييه Anzieu, D تناول الرابطة نفسها ما بين الحلم والجماعة، وذلك في محاضرة ألقيت في الجمعية الفرنسية للعلاج الجماعي La Societe Psychotherepie de groupe Francais de ونشرت في حينها في مجلة الأزمنة الحديثة 1966، ثم أعاد جمعها مع مقالات أخرى عن الجماعة واللاشعور[32]. وأحسب أن العملين لدى كل من كارل أبراهام وديديه أنزييه يفتحان السبيل في مضمونها العام لما أظنه جوهر المشكلة في مجتمع رهين محابس عدة، من العائلة إلى القبيلة، إلى رمز السلطة القمعية للآباء المخصيين الذين يتوحد بهم الأبناء قهراً وخوفاً منذ أوديبهم الممتد على حجور أمهاتهم، والتبعية المقيتة في الكبر، أو انغلاق على أنفسهم، وهم إن تواصلوا فالنيرة والمكائد والحسد، والغيرة في ذاتها انغماس للحدود، فيه الكائن وغيره، وكيانه (وهو بالحتم لظروف لتنشئة في نقصان) نهب يغير عليه الآخرون إن صح التعبير، إنها نتائج بيئة ومصارع تنشئة، ومن ثم أشكال لقيم سائدة، بدءاً من الأسرة، وانتهاء بحراك مجتمع هدّه طول مكث تحت وطأة هؤلاء، وهؤلاء وأسوأ من كل هذا ما يحدث من قبوع في حضر السلطان، وهي حجور أو حجور قلب (ابن سينا يدخل السجن مرتين، ويستوزرونه مرتين)، فكيف يحيا الجماعة من تثبت طويلاً على ثدي الأم، والجماعة لديه إذ أستطع فمه عليها قد تبتلعه ويمكن هنا أن نتذكر الثلاثية الفمية لبرترام ليفين، والعودة الأوقيانوسية لرحم الأم. وما أكثر ما يمكن أن يقال عن تفاعل الحياة التخييلية ما بين الشعور فردي من جهة، واللاشعور الجمعي من جهة أخرى، والتبعية المتبادلة

---

[31] - كارل أبرهام: الحلم والأسطورة، مساهمة في دراسة علم النفس الجمعي، في التحليل النفسي والثقافة، ترجمة وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1998.

[32] - ديديه أنزيو-الجماعة واللاوعي، ترجمة سعاد حرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1990.

لا بين الأفراد في الجماعة فحسب، بل بين شبكية من المتغيرات تؤثر في وظيفة الجماعة، وبخاصة عندما تحاول أن تخفي نقاط ضعفها وتهرب -على سبيل المثال- من جرح نرجسي يلم بها، أو بأحد أفرادها، وهم المشاركون في التعاطف والهم المشترك والطاقات والقدرات، وكيف لنا أن ننسى الوهم الجماعي والعقد العائلية، وأبسط من ذلك كله ما دامت الجماعة كالحلم، فهي والحال هذه إنجاز خيالي للرغبة، أو هي إشباع بديل متخيل فيه الصراع بين الرغبة ونقيضها، ولأن "الحياة حلم" على حد قول كالدرون، والحلم حارس النوم، على حد قول فرويد، ترى هل يمكننا أن نقول إن الجماعة حارس الفرد؟ مع أن الإجابة بنعم، إلا أن ذلك يحتاج تأويلاً واعياً بمكانيزمات عمل الجماعة، وبفهم عميق لها، حيث النرجسية والأنانية والإسقاط، وما أكثر ما في الحلم والجماعة مدأ.

لقد رأى أنزييه أن العلاقة الجماعية تسمح بوجود أو إنشاء حالة نفسية متعدية للفرد، تلك التي يسميها ذات الجماعة، وهو أمر لا نختلف حوله، وبخاصة أن بابون يمضي لما هو أبعد، إذ يرى أن فريق عمل ينضوي في جماعة، فهم والحال هذه جماعتان في جماعة واحدة، جماعة عمل Work Group، جماعة فروض أساسية Basic Assumptions group فالجماعة وحدة في ذاتها "إنها ليست وظيفة أي جزء منفصل عن الآخر، كما أنها ليست تجميعياً كلياً بلا وظيفة[33]. وتضرب ما رجريت رايخ مثالاً بأثني عشر فرداً لا يعرف أحدهم الآخر، وبينما هم مستقلون بالصدفة على شاطئ البحر، وهم في هذه الحالة لا يكونون أي جماعة، لكن إذا تصادف أن صاح أحدهم طالباً النجدة، لأنه على وشك الغرق، فاستجاب له الأحد عشر الباقون لمحاولة إنقاذه، مع تباين في فعاليتهم، فعندما يكونون قد أصبحوا جماعة لها وظيفتها، وقد يكونون معاً منظمة لإنقاذ الغرقى، وهكذا يصبحون جماعة عمل، لها أهدافها، وتتعلم من تجاربها، وتحقق التوازن في الفرد".

لكن ماذا يحدث عندما يدب الخلاف بين أفراد الجماعة، أو بعضهم، أو حتى مجرد فرد منهم ينقض عليهم بنرجسيه وتصارع رغباته، ومآل الجماعة، وما أكثر ما لا يمكن حصره من مسالب في تشكيلة تباينات لا تحد.

لقد أنكر فرويد وجود ثنائية فعلية بين علم النفس الفردي والجماعي. وها هو يقول منذ الصفحة الأولى في كتابه، علم النفس الجمعي وتحليل الأنا: "إنه ما من علم نفس إلا وهو علم نفس جماعي أو اجتماعي"[34]، وعلينا ألا ننسى أن أفراد أي جماعة إنما هم متباينون بحكم ظروف تنشئة كل منهم، ومن هنا تبرز أهمية وحدة الجماعة بين الحاجة إليها، والخوف منها، وما أكثر العناصر المهددة لوحدة الجماعة والتي يميز فيها ريدل REDL,f بين تلك

---

(33)- Margret. J the work of wilfred Bion on Group, In progress in group and family threapy (edit) Sager < C. and Kaplan H. Mazel Publ London, 1972.,.

(34)- Freud, S. Group psychology and the analysis of the Ego, Hogarth press London, 1974, S.E., Vol 18>

الاضطرابات الفردية التي تخلق المشاكل الجماعية، وبين تلك الديناميات التي يطلق عليها العناصر السيكولوجية الجماعية[35] مع عدم غض الطرف عن النزعة الثنائية الوجدانية تجاه الجماعة، فمن ناحية هناك توحد الفرد بها، ومن زاوية أخرى هناك ذلك النزوع الذي يشير إليه العلامة صفوان في ترجمته الرائقة ومقدمته الرائعة لكتاب لابويسيه "العبودية المختارة" والتي أراد بها أن يوقظ صمت القبور عن عالمنا العربي، لكن يظهر أنه لا حياة لمن ينادي، وأظنه يرى فيها مع لابوايسيه أن الطبيعة "قد بينت في كل ما تصنع أنها لا تهدف إلى توحيدنا بقدر ما تهدف إلى أن نكون جميعاً أحاداً[36] ولا نحسب أن هذه النزعة الفردية وقفاً على إنسان عالمنا العربي، فهي وجود محايث في الإنسان، لكن الخلاف دوماً في الدرجة، وهو لدينا أبعد مدى من كل تصور، لا لقهر السلطة لأفراد مجتمعاتها، والخوف من كل اجتماع فحسب، بل ومناهضة أي جماعة تنشأ إلا بعد لأي، وهي ظاهرة ممتدة، ولم تتوقف منذ قرون، لكني أظنه اليوم –كما كان بالأمس– إنما هو مسؤوليتنا نحن من أن نتقاعس على أن نمد اليد كي نتساند، ونقاوم أن نظل فرادى، وبخاصة من أجل محافل علمية يتواصل حوارها معاً، في أهداف علمية لا يخلو منها بطبيعة الحال دورها تجاه مجتمعاتها، وتدعيم التحليل النفسي بين شعوبها، وبذل الجهد من أجل استشراف غدها وتدارس أمسها. فالحاضر له تاريخ. ويجب علينا أن نمسك بمسالب الماضي في أمسه، مع وعي بما يذكر به العلامة مصطفى صفوان بأن من لم يختر مستقبله لم يجد ماضيه.

ترى هل تستطيع أن نتعلم من درس الأمس، كيف تفككت جماعات، وكيف بسطت مؤسسات سطوتها، وما صراع الجمعية الفرنسية في عقدي الخمسينات والستينات من القرن الماضي غير مثال هو حلقة في سلسلة تبدأ بدايات التحليل النفسي، عندما احتج أدلر واستقال، ثم تبعه يونج، لتتواصل الحلقات التي تصاعد معها الاحتجاج والانقسامات، بل والانتحار، ولا أحسب المحلل النفسي إلا إنساناً. وما أظن المؤسسة توارث شعيره دينية على حد قول لا كان. وما أصعبها وطأة على النفس أن يدمر كهنوت المؤسسة صرحاً من آمال معقودة، أو يطفئ لهب حب يجمع، حب يعي أن الكائن الإنساني رغبة في رغبة آخر، وأن الوعي بآليات عمل الجماعة باعتبارها مكافأة للحلم، ولكل نشاط إنساني حيث التحليل النفسي لغة سياقات يجب أن يضع يدنا على السيناريوهات اللاشعورية وأشكال النكوص التي تعتقد معها الرغبات الأكثر خفاء، مع المسارب الأكثر قدماً، حيث تتجمع نقاط الضعف التي أردد معها المقولة الشائعة "ليس غريباً عنا ما هو إنساني" وما أكثر ما يمكن أن يقوله كل منا في هذا السياق، مع الوعي بأن الجماعة حلم الحلم، الذي يجب أن نسأل أنفسنا قبله، في اليقظة، بعد أن نؤول مضمونه الكامن، هل نؤمن حقاً بمجتمعاتنا؟! وهل نؤمن حقاً بعملنا؟!

---

[35] – سول شيدلنجر: التحليل النفسي والسلوك الجماعي، ترجمة سامي محمود علي، دار المعارف، 1958.

[36] – اتين دي لابويسيه: مقال في العبودية المختارة، ترجمة مصطفى صفوان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992.

وهل نؤمن بأهمية الإمساك باللامحتجب في أنفسنا، ومن ثم كيف نحقق أهدافنا، وقبلها هل حددنا هذه الأهداف في كافة جنباتها، بدءاً من المكونات التعليمية التي تعي عبارة النفري من أن "معرفة ليس فيها جهل، معرفة ليست فيها معرفة"، وانتهاء بالخطوات المرحلية التي نقدم فيها جهدنا لمجتمعاتنا ولأواصر روابطنا، مع تقويم دائم يحترم الخلاف، بقدر ما يعتنق الكشف والمجاهدة مع اللاشعور وعياً منا بأن "الإنسان يعرف، لكنه لا يعرف أنه يعرف". بقي أن أشير إلى بعض مما يمكن أن نستخلصه مما يذكر به العلامة مصطفى صفوان في مقدمة ترجمته المتفردة لتفسير الأحلام، من أهمية التخلص من سراب الأنا، والاقتراب من المعاش المباشر، وهي مخاطرة "يتعرض لها كل من أراد أن يتعرف نفسه، ويعرف غيره بها، وكيف يسهل أن تنزلق محاولته إلى التبرير المتصل أو الاستفزاز الماسوشي، أو تغذية العجب لا يشبع أي –في النهاية– إلى محاولته أن يسرق من غيره صورة نرجسية.... "و....

وحتى لا ترافق النرجسية حياتنا، وكأنها ضرب من الظل، أحسبنا سننتهي من مؤتمرنا هذا وقد حددنا بوصلة اتجاهاتنا، ومضينا نصارع الموج وصولاً إلى الشاطئ الآخر من رؤية مرجوة، متأسين بما يذكرنا به فرويد في تصديره عام 1914 لكتابه "إسهام في تاريخ حركة التحليل النفسي"، مما دعاه في ظني ليصدر الكتاب بقوله "الأمواج تضربه لكنه أبداً لا يغرق".

وما أكثر ما في الأمس من دروس وكنوز ورؤى تحتاج للجدل معها وبها، لكن ذلك كله يجب ألا يحول أنظارنا عن بصيرة المستقبل، ولنتذكر هذه المرة تلك المقولة التي أختتم بها مصطفى صفوان مقدمته الضافية –السابق إليها الإشارة لتفسير الأحلام، وذلك من نصف قرن مضى.

من لم يختر مستقبله لم يجد ماضيه

"أجل" من لم يختر مستقبله لم يجد ماضيه.

وسلام على الماضي والحاضر وتحية لأجيال المستقبل.

مكتبة العدد

العنوان: في مواجهة الأمركة.

المؤلف: محمد أحمد النابلسي.

الناشر: المركز العربي للدراسات المستقبلية.

عرض: عبد الفتاح دويدار.

"... نعلم أنكم أيها البرابرة الإنكليز قد حملتم معكم، وطورتم، عادات وطباع الذئاب، واستوليتم على الأمور بالقوة. وفي ما عدا سفنكم القاسية، ونيران بنادقكم الوحشية، وصواريخكم القوية، ما هي قدراتكم؟".

مقولة صينية من حرب الأفيون

تحت شعار النظام العالمي الجديد ترجمت الولايات المتحدة تفردها كقطب أوحد باصطناع حرب العراق الأولى، أو الخليج الثانية. بما يذكرنا باصطناعها لقائمة من الحروب السابقة، ومنها الحرب الكورية في الخمسينيات. مع فارق الغياب الراهن للاتحاد السوفياتي،بعد سقوطه، مما أتاح للولايات المتحدة جني ثمار حروب ما بعد سقوط الشيوعية دون منازع. وبعده طرح الأميركيون مصطلح العولمة بدلالته الاقتصادية (عولمة اقتصاد السوق الأميركية) بدعم نموذج "النمور الآسيوية" كمثال على الأرباح التي تجنيها الدول النامية إن هي انخرطت في نظام السوق. وهكذا هرولت دول عديدة نحو العولمة، لتكتشف لاحقاً عبثية هذه العولمة والخسارة الناجمة عنها، ولكن بعد فوات الأوان. ثم جاءت حجة الدفاع عن القيم الغربية المتجلية في حرب كوسوفو. حيث لم تكن اعتراضات ميلوسوفيتش على شروط السلام الأميركية سوى اعتراضات شكلية. لكن الوسيط أميركي ترجمها رفضاً. بما يعكس نية أميركية مبيتة لاصطناع حرب جديدة. لكن قيادة كلينتون لتلك الحرب كانت أقل صلفاً وتحدياً للمشاعر من سابقه بوش الأب. فقد خاض كلينتون تلك الحرب بدون استخدام أسلحة استراتيجية، ليكتفي بصواريخ التوما سوك. وليخرج من تلك الحرب بفائض في الميزانية الأميركية يبلغ 115 مليار دولار. وهو أضاف إليها مكسباً استراتيجياً من الدرجة الأولى، وهو مكسب تعديل استراتيجية الحلف الأطلسي، الذي حول الحلف من الدفاع إلى حق التدخل في المناطق التي توجد فيها مصالح لدول الحلف، أي أن نفوذه امتد إلى خارج دوله. هذا التعديل الذي انتزع من الأمم المتحدة دور تقرير السماح، أو عدمه، بالتدخلات العسكرية في مناطق محددة في العالم (حددتها اتفاقية التعديل، وضمت الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والقوقاز).

بحيث باتت الولايات المتحدة طليقة اليد في تلك المناطق بمجرد إعلانها عن وجود مصالح لها فيها. وابتلع الأوروبيون الطعم بفضل ديبلوماسية كلينتون ومرونته. حيث منحهم ضمناً حق التدخل في شمال أفريقيا، وهي منطقة شديدة الحساسية بالنسبة لأوروبا. إضافة إلى ربط التدخل الأميركي بموافقة أطلسية. لكن ووكر بوش، بذريعة 11 أيلول / سبتمبر الحرب على الإرهاب، تجاوز الأمم المتحدة، ودول حلف الأطلسي، ليشن حربه العراقية غير آبه بكل المعارضات العالمية لتلك الحرب، بما اعتبر إعلاناً صريحاً عن إطلاق مشروع أمركة العالم، حيث تتقدم المصالح الأميركية على كل الاعتبارات، من الأمم المتحدة إلى الحلف الأطلسي، مروراً بالرأي العام العالمي والتكتلات الإقليمية، وحتى أصدقاء أميركا السابقين.

لقد أظهرت أميركا بوش جملة انفجارات هوسية وزعت عدوانيتها في جميع الاتجاهات مطلقة شعار الأمركة، بدلالة الأفضلية العالمية لخدمة المصالح الأميركية، على أي اعتبار آخر، حيث مورست العدوانية الأميركية على الأصدقاء، مثل فرنسا وألمانيا وإسبانيا والبرتغال وبريطانيا الحليفة، وغيرها من دول الاتحاد الأوروبي. إضافة إلى الأصدقاء العرب المزمنين، مثل السعودية، والى روسيا وغيرها. حتى أمكن القول بأن بوش أفقد أميركا أصدقاءها؟!.

الأمركة بهذا المعنى هي فعل اعتداء ناجز، ومخالفة صريحة للشرعية الدولية وللأحلاف. وهي بالتالي جريمة، فمن هو المستفيد من هذه الجريمة؟. المواطن الأميركي اكتشف فجأة أنه غير آمن (بمناسبة 11 أيلول وعقابيله). وهو يعيش أزمة اقتصادية تهدد مدخراته ورخاءه وتعويضات تقاعده، وتهديدات عجز في ميزانية بلاده بلغ حدود الـ 455 مايار دولار، وبالتالي فإن هذا المواطن غير مستفيد!؟. فمن هو المستفيد إذاً؟.

إنها الشركات الأميركية الكبرى، المفلسة منذ نهاية التسعينيات، والتي تحتال منذ ذلك التاريخ على مستثمريها لغاية فضائح افلاسها عقب زلزال البورصات المصاحب لحوادث 11 أيلول. حيث لم يعد من الممكن التكتم على هذه الإفلاسات، فتم إعلانها بصورة تدريجية مدروسة. وأصبح إنقاذها وإنقاذ السوق الأميركية يقتضي جولات من السطو على ثروات الآخرين. وكان النفط العراقي،والعربي بعده، أسهل عمليات السطو، وأسرعها فكانت الحرب العراقية. وهي غير كافية لإنقاذ السوق، بما يستدعي إتباعها بجملة عمليات سطو لاحقة في المنطقة (قد لا تكون عسكرية بالضرورة) ومن هنا توزيع التهديدات الأميركية على دول المنطقة بدون استثناء.

أمام هذا الطابع الجرمي للأمركة، حُقَّ لنا التساؤل عن سبل مواجهة هذه الأمركة. وهو تساؤل يستند إلى مقولة صينية تعود إلى زمن حرب الأفيون. وهي تقول: "... نعلم أنكم أيها البرابرة الإنكليز قد حملتم معكم، وطورتم، عادات وطباع الذئاب، واستوليتم على الأمور بالقوة. وفي ما عدا سفنكم القاسية، ونيران بنادقكم الوحشية، وصواريخكم القوية، ما هي قدراتكم؟".

هي مقولة تستأهل الوقوف عندها بمناسبة الهياج الهوسي الأميركي الراهن، حيث ترددها بشكل أو بآخر الشعوب المتضررة من الأمركة، ومعها فصائل المعارضة العراقية، وقسم لابأس به من المنظمات المصنفة إرهابية من قبل أميركا!؟.

حول مواجهة الأمركة، وهذه المواضيع المتفرعة عنها، صدر عن دار الفكر كتاب بهذا العنوان للباحث اللبناني الدكتور محمد أحمد النابلسي. وفيه يقدم اقتراحات فكرية – نظرية لمواجهة الأمركة مستنداً إلى مراجعة نقدية – فكرية لمشاريع الأمركة. فهذه المواجهة تقتضي برأي المؤلف وجوب التعرف الدقيق إلى تفاصيل هذه المشاريع وخلفياتها وطموحاتها وأدواتها. حيث يجد النابلسي أنه من الضروري أن يضع بين يدي القارئ العربي نصوص هذه المشاريع مترجمة إلى العربية. إذ لا يجوز أن يسمع هذا القارئ بمشاريع، مثل: تغيير الخارطة العربية، وبمشروع الشراكة الأميركية مع الشرق الأوسط (مبادرة باول) ومشروع الحرب الإستباقية التي أرساها بول وولفويتز، وتبناها بوش لتصبح "مبدأ بوش" وكذلك فرضية "الحرب الإفتراضية" غير المعروفة على نطاق واسع، لكنها كانت فاعلة في حرب العراق، بل إن تلك الحرب كانت أولى تطبيقات هذه الفرضية، التي ينتمي منظروها إلى مؤسسة راند، حيث يزاملون فيها وولفويتز وكيسينجر، وغيرهم. كما لايجوز أن توضع هذه النصوص أمام القارئ العربي بدون قراءة نقدية لها. ومثلها كتب تلعب دوراً هاماً في القرار الأميركي وفي تحرك المخابرات الأميركية في بلادنا. ومنها كتب فوكوياما 'نهاية التاريخ' و'نهاية الإنسان' وكتاب ساوندرز المعنون ' المخابرات في سوق الثقافة/ من يدفع للمزمرين '. الذي يشرح لنا كيف تقوم المخابرات بتصنيع قادة المجتمع في الدول النامية، وفي بلادنا تحديداً. حيث استندت مبادرة باول على صناعة المخابرات لهؤلاء القادة. كما استندت إلى جماعات المجتمع المدني المصنعة في مختبرات وكالة المخابرات الأميركية.

على أن مواجهة وحش الأمركة بطبيعتها البوشية لا تقتصر على إشعال بعض النيران في وجهه (مقاومة شعبية) بل عليها التبصر باحتمال قيام قطب مواجه لأميركا، وتبين ملامح هذا القطب المستقبلي، حيث يجد الباحث أن الصين هي المرشح الوحيد لهذا الدور. مما اقتضى التعريف بسيكولوجية السياسة الصينية، وبسلوكها تجاه أزمات السفارة في بلغراد والطائرة الصينية..الخ. ويتوقف أمام احتمالات بروز الصين، وعلاقته بالأزمات الأميركية المعلنة والمضمرة، حيث خطورة هذه الأزمات تبلغ حدود حديث الباحث عن قدوم زمن الفوضى الأميركي، وملامحه أزمة اقتصادية عارمة (فضائح إفلاس الشركات) وميليشيات نازية (أوكلاهوما 1995) وشغب عنصري (سينسيناتي 2001) وأقليات مضطهدة وحريات مقلصة ومنتهكة (وزارة بوش للمخابرات) ومخالفات جرمية بحق القانون الدولي (رفض توقيع اتفاقية المحكمة الجنائية الدولية) ومؤسساته (مخالفة مجلس الأمن في قرار حرب العراق) كما بحق الإنسان.

ولا بد للمؤلف في هذا السياق من مناقشة مشروع بوش وإدارته، الذي قوبل بالتحفظ الشديد في البداية، ليتحول إلى مشروع إنقاذي بمناسبة حوادث ١١ أيلول / سبتمبر، وذيولها من حروب على الإرهاب. وأخيراً عودة التحفظات على هذا المشروع بعد فشله في إثبات فعاليته وبعد انفجار المشاكل المترتبة على ثغراته وتسرعه في الحرب العراقية.

وينهي النابلسي كتابه بعرض لمصادمات الأمركة مع الخصوصيات الثقافية. حيث تسجل هذه الأخيرة انتصارات مؤجلة، فهي تحتوي الأمركة، والنفوذ الأميركي عامة، في فرنسا وروسيا وألمانيا والصين وكوريا وسوريا وأفغانستان والعراق وإيران وفلسطين. وهذا الاحتواء لا يتعجل المواجهة لإدراكه فارق تفوق القوة الأميركي الحالي. لذلك فإن هذا الاحتواء يأمل بابتلاع الوحش الأميركي مع الوقت. حيث لا مكان للمتعجلين قبل انفجار كوارث الاقتصاد الأميركي التي باتت أقرب من التصور بحسب المؤلف.

أ. د. عبد الفتاح دويدار.

أستاذ علم النفس / جامعة الإسكندرية.

العنوان: العلاج السيكوسوماتي المعرفي.

تأليف: محمد حمدي الحجار.

الناشر: مركز الدراسات النفسية.

أهمية هذا الكتاب، أنه جمع خلاصة التجربة العيادية لمؤلفه الذي ضمنه جملة حالات عيادية ومقالات نظرية يمكنها أن تقود خطوات المتدربين على العلاج النفسي المعرفي، وأن تغني خبرتهم بالأمثلة العملية، وبتقديم الأجوبة على التساؤلات التي تطرحها هذه الحالات على المعالجين. كما يصلح الكتاب للراغبين في تطبيق هذه النظرية العلاجية لمساعدة أنفسهم في مواجهة مشاكلهم الخاصة، ومعاناتهم النفسية الراهنة أو المزمنة. ومن مواقف نفسية عصية على الهضم الفكري والذكروي.

في مثل هذه الحالات نهيمن ذكرى الحدث على وعي الشخص، وتدمغ سلوكه، فتسيطر على ردود فعله، وتعيق فهمه للحقائق دون معرفة منه بخلفياتها ودوافعها وارتباطها بالحدث. وذلك بحيث يتحول موقفه إلى توقع الأسوأ، ويفقد الصبر والقدرة على الانتظار.

الأهم أن الكتاب لا يهمل العلاقة بين النفسي والجسدي، بل يقدم الأمثلة العملية على هذه الحالات، حيث الشدة النفسية تؤثر على جهاز المناعة، ومعه على التوازن الصحي / النفسي والجسدي للشخص، مع التركيز على حالات الاكتئاب التي تتظاهر بمظاهر جسدية عضوية تخفي الحالة الاكتئابية.

الكتاب: سيكولوجية الشائعة.

المؤلف: محمد أحمد النابلسي.

الناشر: مركز الدراسات النفسية – لبنان.

عن مركز الدراسات النفسية صدر للدكتور محمد أحمد النابلسي كتاباً بعنوان "سيكولوجية الشائعة " ويتضمن الكتاب عرضاً لتقنيات الشائعة، وأساليب إعدادها، والتصدي لها، وإنتاج الشائعات المضادة لها. كما يعرض المؤلف لجملة من الدراسات المتعلقة بقياس إمكانيات نجاح الشائعة، والعوامل المؤثرة في هذا النجاح.

بعد هذا العرض النظري ينتقل الباحث إلى الأمثلة العملية، فيتخذ من شائعات الحرب العراقية نموذجاً. حيث يبدأ بالمقارنة بين شائعات حرب العراق الأولى والحرب الأخيرة. وهي مقارنة تبين لنا تكرار استعمال العديد من الشائعات في الحربين، ومعها بقية وسائل الحرب النفسية. ويهمنا تحديداً التوقف عند تحليل النابلسي لشائعة بداية الحرب. ففي عودة إلى بداية الهجوم العسكري الأميركي صبيحة 20 / 3 / 2003 لوجدنا أنها بدأت بداية نفسية خالصة. إذ ارتبطت بمعلومة مخابراتية كاذبة حول مكان تواجد القيادة العراقية، فكان إعلان الحرب مرتبطاً بمحاولة قطع الرأس (اغتيال الرئيس العراقي). وهي معلومة بررت الاستعجال الأميركي للحرب بالرغم من تردد الحلفاء ومحاولاتهم لتأجيلها. ولقد نفت المخابرات البريطانية هذه المعلومة نفياً قاطعاً (يعتقد أنه يبرر موقف الإذاعة البريطانية من الحرب العراقية). وبغض النظر عن حقيقة هذه المعلومة ودقتها، فقد نجحت المخابرات في توظيفها نجاحاً باهراً، إذ حقق هذا التوظيف خدمات هامة ممهدة للحرب وداعمة للتعجل فيها. ومن هذه الخدمات:

- التظاهر الأميركي بمحاولة تجنب الحرب عن طريق قطع الرأس.
- إعلان تركيز العداء الأميركي على الرأس، وليس على أية أهداف أخرى. وفي ذلك كسب أميركي لقطاعات واسعة من الشعب العراقي، وطمأنة الشعب العراقي ككل.
- قطع الطريق على تردد بريطانيا وبقية الحلفاء (نذكر هنا بمحاولات التملص البريطانية من هذه الحرب. ومنها مشروع النقاط الست، ومن ثم الدعوة لتأجيل الحرب لغاية الخريف).
- إطلاق شائعة موت الرئيس العراقي، والإصرار عليها لعدة أيام. وهدفها إرباك العدو وتشجيع الفرضى الداخلية. كما امتحنت هذه الشائعة ردة فعل القيادة العراقية لدحض الشائعة (ظهر صدام على التلفزيون).

- التمهيد لمعاودة إطلاق شائعة قطع الرأس قبل الهجوم على بغداد. لكنهم هذه المرة حرموا صدام من فرصة الظهور التلفزيوني (تدمير التلفزيون العراقي، وحصار مكاتب الفضائيات العربية في بغداد).
- تشجيع المتمردين العراقيين على التحرك. أو أقله الاستعداد للتحرك.
- إظهار قدرة المخابرات الأميركية وملكيتها لمصادر معلومات شديدة القرب من القيادة العراقية (بداية نشر شائعات الخيانة المألوفة في كل الحروب).
- الإيحاء بأن الخطة الأميركية للحرب هي غير تقليدية. وهي تنطوي على مفاجآت يمكنها أن تحسم الحرب بصور غير منتظرة.
- تشجيع ظهور بوش بمظهر راعي البقر الأميركي (الكاوبوي) أمام الجمهور الأميركي. فقد بدأت الحرب مع انتهاء مهلة التهديد.
- تعويم المخابرات الأميركية واستعادة ثقة الأميركيين فيها مع بداية هذه الحرب. وهذا التعويم يخدم هدف إغلاق ملف التحقيق في حوادث أيلول (يصر بعض الديموقراطيين على أن حرب العراق كانت في جزء منها تهرباً جمهورياً من المسؤولية في حوادث أيلول).
- طمأنة مؤيدي الحرب بإيحاء القدرة الأميركية على حسمها بصورة غير منتظرة. وبأن هذه الحرب لن تطول.
- تفشيل خطط الحرب النفسية العراقية. حيث ركز العراقيون على "معركة بغداد" في محاولة لتسخيف بداية الحرب ومراحلها الأولى. وشائعة قطع الرأس جعلت الكل يتساءل "هل ستكون هنالك معركة ما في بغداد؟".
- إعطاء بعضاً من عنصر المفاجأة لحرب معلنة سلفاً عبر مهلة التهديد.
- تكريس التفوق والعظمة الأميركيين في ذهن المواطن الأميركي. حيث يملك بوش إمكانية التفكير بقطع رأس المارقين مع استحالة العكس.
- إظهار ابتكارات وخطط وفنون حربية أميركية جديدة للحرب النظيفة.
- حشد المعارضين العراقيين الذين قاطعوا مؤتمر لندن، ودفعهم للاستعجال في ركوب القطار الأميركي.
- إجبار المقاتلين العرب على التريث قبل الذهاب إلى العراق. ودفع المتواجدين منهم للهرب من العراق.
- تحذير الدول المعارضة للحرب، من احتمال نهاية درامية سريعة لها.

- تشجيع معارضة الخارج على العودة للعراق لتكون سباقة لجني حصتها من النصر الأميركي المنتظر.
- دفع الأكراد للإسراع في ملء الفراغ التكتيكي المتخلف عن الخطة العسكرية العراقية في الشمال العراقي.
- إرباك الجهات التي تقدم الدعم للعراق، ودفعها للتريث في دعمها له.
- تمهيد الطريق أمام شائعات الخيانة العراقية. أعلن رامسفيلد لاحقاً عن وجود خيانات داخل الصف العراقي، لغاية التصريح بمفاوضات أميركية مع ضباط كبار.
- نشر حالة الصدمة بين المدنيين العراقيين عبر الإيحاء بنهاية الحرب قبل بدئها.
- رفع معنويات الجنود الأميركيين والحلفاء.
- الاحتياط لإدانة بوش لشنه حرباً بهذا الحجم للقضاء على شخص كان يمكن الخلاص منه بدون إيقاع أعداد هائلة من الضحايا المدنيين، وبدون شن حرب أصلاً. حيث وظفت هذه لبيان محاولة أميركا تجنب الحرب باغتيال صدام.
- التأثير على معنويات القيادة العراقية، وإثارة هواجس الشك عندها.
- استيعاب المعارضة الأميركية الداخلية للحرب عبر التلميح إلى الطابع المخابراتي للحرب، وبالتالي الاحتياط لوقوع خسائر بشرية أميركية.
- تكذيب وإبطال المعلومات المخابراتية الروسية التي تمكنت من كشف خطة الهجوم الأساسية المتفق عليها مع بريطانيا.

وهكذا بدأت الحرب الأميركية على العراق بداية نفسية تجسدت بشائعة اغتيال القيادة العراقية. وهي حققت مجموعة الأهداف المشار لها أعلاه منذ الساعات الأولى للحرب. ونظراً لكفاءة هذه الشائعة وفعاليتها فقد أعيد وضعها في التداول خلال الأيام الأخيرة للحرب (عقب قصف مقر اجتماع القيادة في حي المنصور). حيث كان لتكرار الشائعة فعالية مضاعفة لحدوث التكرار في ظروف القصف الأميركي المكثف والصادم لبغداد. وكذلك في ظروف معاناة العراقيين من انخفاض التقديمات الصحية والغذائية والإسعافية. يقع الكتاب في 100 صفحة من الحجم الكبير، وهو صادر عن مركز الدراسات النفسية في لبنان.

الدكتور عبد الرحمن العيسوي

أستاذ علم النفس / جامعة الإسكندرية.

العنوان: الخصوصية العربية والعقل الأسير.

المؤلف: محمد أحمد النابلسي.

الناشر: مركز الدراسات النفسية / طبعة ثانية.

عرض: عبد الرحمن العيسوي.

عن مركز الدراسات النفسية والنفسية – الجسدية صدر للدكتور محمد أحمد النابلسي كتاب بعنوان: "الخصوصية العربية والعقل الأسير / نحو سيكولوجيا عربية".

يقع الكتاب في 164 صفحة من الحجم الكبير، وفيه يربط المؤلف بين العلوم النفسية والسياسية والعلوم الإنسانية عامة.

فقد تكون العلوم النفسية موغلة في القدم، وقد يكون التراث الإنساني غنياً من الناحية الوصفية. لكن تحول هذه الظواهر الموصوفة إلى علوم هو تحول حديث، إذ اضطر فرويد في بداياته إلى مناقشة هذا التحول في أوائل كتاباته والمعنون بـ "نحو علم نفس علمي".

فصحيح أننا نجد وصفاً دقيقاً لمرض الفصام في النصوص الهندية القديمة، كما هو صحيح أن مصطلح الهيستيريا يعود إلى عصر أبقراط، عداك عما يحتويه تراثنا العربي من خطوات تجريبية في الميدان، لكن دخول معاناة النفس الإنسانية في ميدان، وضمن مسؤوليات العاملين في علوم الشفاء، هو دخول تأخر لغاية منتصف القرن الماضي.

في عالمنا العربي كان دخول هذه العلوم، بثوبها العلمي، دخولاً خجولاً، إذ تأخر الإعلان عنه لغاية تضافر جهود وطموحات أستاذين كبيرين هما مصطفى زيور ويوسف مراد. عندها فقط ظهرت إلى شمس. هؤلاء الرواد الأوائل عملوا على إيجاد سيكولوجيا في العالم العربي. ثم حاولوا لاحقاً استخدام الدكتور محمد عثمان نجاتي بالمشاركة في الجمعية العالمية لعلم النفس عبر الحضاري، لكن هذه المشاركة توقفت بسبب العدوان الثلاثي على مصر في العام 1956.

منذ ذلك الحين، ومع اتساع المد القومي، توالت الدعوات إلى إرساء سيكولوجيا عربية. إلا أن غالبية هذه الدعوات انطلقت من دراسة الشخصية العربية، فاتّسمت بعمومية ذات طابع فلسفي ينسجم مع امتزاج دراسة الفلسفة بدراسة العلوم النفسية. حتى بدت هذه الدعوات وكأنها إصرار على إخراج هذه العلوم من عمليتها المكتسبة حديثاً. بل إنها بدت وكأنها نوع من أنواع الاحتجاج علمية عربية. فالمدقق في هذه الدعوات يمكنه ملاحظة اشتراكها في عدد من العثرات المنهجية، ومنها:

أولاً: هل يمكن لشخص، مهما بلغ حماسه، وسعة اطلاعه، أن يقوم منفرداً بتحليل شخصية أمة كاملة متكاملة؟ في حين يتجه الباحثون المحدثون إلى اعتماد مبدأ "مجموعة بالينت"، حيث يقوم أعضاء المجموعة بتصحيح مسار العلاج الذي يعتمده هذا المعالج؟

ثانياً: هل يمكننا المزج بين المنهج وبين الموضوع في ميدان العلوم الإنسانية، وخصوصاً النفسية، في حين تقوم دراسات عالمية عبر حضارية بالعمل على تصنيف المواضيع بحسب الثقافات؟.

ثالثاً: هل يمكننا اعتماد المنهج بدون إدخال تعديلات عليه، في حين يصرّ النفسانيون الإنجليز على إعادة تقنين الاختبارات الأميركية قبل تطبيقها في عياداتهم؟.

رابعاً: هل يمكن لمدرسة علمية ذات امتداد عبر عربي أن تقوم على جهود أفراد وجماعات من تلامذتهم؟ إن الفرد وتلامذته قد ينجون في إرساء تيار بحثي في اتجاه معين، لكنهم يفشلون حكماً في التأسيس لمدرسة علمية بالمعنى المقصود بشعار 'سيكولوجيا عربية'.

خامساً: هل يعقل أن ندرك تمايزنا واختلافنا بمعزل عن الآخر، خصوصاً وأن الذات تتموقع نسبياً معتمدة على الآخر؟ فهل يمكن الكلام عن سيكولوجيا عربية بدون مشاركة عربية في الدراسات والتجارب عبر الحضارية؟.

سادساً: هل يمكن لمدرسة علمية أن تقوم على أيدي غير المتخصصين أو أصحاب الاختصاصات الموازية؟

سابعاً: في غياب المؤسسات العربية الجامعية، هل يتورط الأفراد في مشاريع هي ألصق بالاحتجاج النرجسي منها بالموضوعية العلمية؟

لا أستطيع وزملائي في مركز الدراسات النفسية أن ندّعي شرف فكرة الدعوة إلى سيكولوجيا عربية. بل إننا لم نجرؤ على هذه الدعوة، فقد اكتفينا بعنوان "نحو علم نفس عربي" للمؤتمر الأول تجاوز ما استطعنا إدراكه من عثرات الدعوات المطروحة عن طريق توجيه الخطاب إلى الزملاء العرب كافة، متخذين لذلك المنابر الثقافية والفكرية المعروفة في عالمنا العربي. فإذا ما اكتملت لدينا سلسلة من هذه الآراء جمعناها في هذا الكتاب الذي نأمل في المركز أن يشكل قناة اتصال مخصصة مع الزملاء العرب.

فصول هذا الكتاب سبق لها وأن نشرت في مجلات: 1- دراسات عربية، 2- الثقافة النفسية، 3- الدفاع الوطني، 4- المعرفة، وغيرها من المجلات العربية. كما أن بعضها كان قد ألقي في مؤتمرات مختلفة منها: 1- المؤتمر العالمي لحل الصراعات (القاهرة)، 2- اتحاد الكتاب العرب، 3- مؤتمر الكويت لاضطرابات الشدة عقب الصدمية، 4- "نحو علم نفس عربي"، و"مدخل إلى علم نفس عربي".

وهكذا، فإن مجمل محتويات هذا الكتاب هي أفكار أولية لا يمكنها أن تتشكل في قالب فكري – علمي إلا من خلال توسيع حلقة النقاش حتى تشمل وجهات النظر المختلفة بعيداً عن الأسر العقلي وعن التمرد النرجسي.

العلاج النفسي للأسرى
وضحايا العدوان

المؤلف: محمد أحمد النابلسي.

الناشر: مركز الدراسات النفسية 2001.

يسجل للمؤلف سبق إصداره لأول الكتب العربية الباحثة في موضوع الحروب وضحاياها على المستويات النفسية والسيكوسوماتية. فقد أصدر النابلسي دراسته عن الحرب اللبنانية في العام 1985 وهي استخدمت مرجعا في غالبية الدراسات التي تناولت هذه الحرب.

كما كان للمؤلف السبق في نشر أول الترجمات للبحوث العالمية في هذا المجال ونشرها تحت عنوان – الصدمة النفسية / علم نفس الحروب والكوارث – في العام 1992.

أيضا شارك المؤلف ببحوث في هذا المجال وذلك في عدة مؤتمرات عربية وعالمية.

هذا السبق، متعدد الصعد، يكرس الدكتور محمد أحمد النابلسي كمؤسس لفرع سيكولوجية الحروب والكوارث في الوطن العربي.

ويأتي هذا الكتاب ليتوج أعمال المؤلف في المجال حيث يركز على موضوعين هامين هما رعاية الأسرى ومعاناة الضحايا من الوساوس المرضية ومخاوف الموت التي تنتشر بصورة وبائية في المجتمعات المتعرضة للحروب والكوارث. مما يجعل من هذا الكتاب ضرورة ملحة لكل معالج عامل في هذه المجتمعات.

القدرة على التفكير الابتكاري
(المفاهيم والأبعاد)

الدكتور/ الطاهر سعد الله

أستاذ محاضر في المركز الجامعي الوادي – الجزائر-

ملخص:

يتناول هذا المقال مفهوم القدرة على التفكير الابتكاري من وجهة نظر الباحثين. والهدف من ذلك هو إعطاء صورة نظرية وتحليلية لأهم المفاهيم التي عملت على تحليل القدرة على التفكير الابتكاري.

RESUME

Cet article traite et analyse les concepts de la capacité de pensée créative d'après les chercheurs. le but de cet article donne une image théorique sur la pensée créative et met en évidence ses concepts.

تمهيد:

عرف مفهوم القدرة على التفكير الابتكاري، كغيره من المفاهيم السيكولوجية، خلطاً كبيراً، فقد اختلط بمفهوم التفكير بصفة عامة، ثم بعد ذلك بوجهات النظر المختلفة للابتكار نفسه، وهذا كله يقودنا إلى تحديد مجموعة من المفاهيم التي لها علاقة وطيدة بمفهوم القدرة على التفكير الابتكاري.

إن طرق تناول القدرة على التفكير الابتكاري متعددة، فقد تناولها البعض على أنها أسلوب للحياة أمثال (ميد- وروجرز- وسوروكين) وغيرهم، حيث يربطها بقيم الحياة الإنسانية وأساليبها.

وهناك من يتناول الابتكار على أنه ناتج محدد، ومن هؤلاء (ك. رجرز- عماد الدين إسماعيل) وهم يعتمدون على الناتج الابتكاري، لأنه يمثل المحك الذي يمكن من خلاله الحكم على الفرد إن كان مبتكراً أم لا.

وبما أن الناتج الابتكاري وحده لا يساعدنا على تفسير العمليات العقلية التي ساهمت في إنتاجه ولا تساعد على اكتشاف ذوي القدرة على التفكير الابتكاري منذ السنوات الأولى من حياة الإنسان، حتى يمكن توجيهه توجيها يتفق مع ما لديه من استعدادات. فقد رأى بعض

الباحثين أنه لابد من تناول القدرة على التفكير الابتكاري كقدرة عقلية نامية، ومن بين هؤلاء نذكر (ج.ب. جيلفورد- إ.ب. تورانس - مير شتاين) وغيرهم.

وبناء على ذلك كله، فإن العودة إلى وجهات النظر المختلفة يساعدنا على تحديد مفهوم القدرة على التفكير الابتكاري، كقدرة عقلية نامية يمكن دراستها دراسة تساعد على اكتشافها وتحديد معالمها، وهذا ما سنقوم به في هذا العمل.

مفهوم القدرة على التفكير الابتكاري:

إن اختلاف نظرة الباحثين إلى القدرة على التفكير الابتكاري يعود أساساً إلى اختلاف أطرهم النظرية التي يتبنونها، والمناهج والطرق التي يستخدمونها، وخصوصاً (طرق التحليل العاملي)[1] التي أصبحت تستخدم بكثرة في الميدان المعرفي.

كل ذلك أدى إلى تباين نظرة العلماء والباحثين للقدرة على التفكير الابتكاري، فالبعض منهم يرى أنها "عملية نفسية" من أمثال (ج. ولاس) (2) وبعضهم يرى أنها "قدرة عقلية نامية" كما يعتقد (ج.ب. جيلفورد) و (إ.ب. تورانس).

ويرى (أ. لالاند 1951) في قاموسه الفلسفي أن هناك فرقاً بين كل من الابتكار والاختراع والاكتشاف فيقول: "... الابتكار هو إنتاج شيء ما بحيث يكون هذا الشيء جديداً في صياغته، وإن كانت عناصره موجودة من قبل كابتكار عمل من أعمال الفن أو التخيل المبدع"[3]

يتضح من مفهوم (لا لاند) أنه يركز على إنتاج الجديد، غير أنه لم يحدد معياراً محدداً للحكم على هذه الجدة، بمعنى هل أن الجديد يكون كذلك بالنسبة لصاحبه فقط، أم أنه ينبغي أن يخضع لمعيار الجماعة، وما تعارفت عليه، أو ما هو متداول بينها؟.

فإذا كان الحكم فردياً تطرح مشكلة الذاتية، وإذا كان جماعياً تطرح مشكلة المعيارية، وهي مشكلة يدور حولها جدال بين الباحثين المهتمين بموضوع القدرة على التفكير الإبتكاري.

أما بالنسبة للاختراع فإن (أ. لالاند 1951) يعتبره جانباً من جوانب الابتكار، وليس ابتكاراً مطلقاً، لأنه يعتمد على تركيب العناصر ذات الوجود السابق "فهو - أي الاختراع إنتاج مركب جديد من الأفكار، بمعنى أنه عملية إدماج جديد لوسائل معينة من أجل تحقيق هدف معين"[4]. وبهذا يعتبر الاختراع عملية دمج لعناصر ووسائل كانت موجودة من قبل، وعملية الدمج هذه لا تتم بطريقة عشوائية، وإنما بقصد تحقيق هدف أو مجموعة أهداف محددة.

وعلى خلاف ذلك الاكتشاف، فإنه يطلق على اكتساب معرفة معينة بشرط أن تكون جديدة، مع أن عناصرها موجودة أصلا وقد تكون تلك المعارف ذات وجود مادي، أو أفكار ذات وجود سابق، ولا فرق في ذلك بين ما هو مادي أو معرفي فكله اكتشاف[5].

وبناء على ما سبق يبدو الفرق واضحاً بين الابتكار الذي يعني إنتاج الجديد ومعياره الأصالة والجدة ، والاختراع المحدد بإدماج العناصر وتركيبها من أجل تحقيق هدف أو

مجموعة أهداف معينة والاكتشاف الذي يقتضي التعرف على الأشياء ذات الوجود المادي، والأفكار ذات الوجود السابق، مثل اكتشاف (كريستوف كولومبس) لقارة أميركا.

الابتكار كأسلوب من أساليب الحياة:

جاء في قاموس علم النفس والتحليل النفسي لصاحبيه (هـ ب. أنجلش وأ. س. أنجلش 1958) التحديد التالي للابتكار. (... يتضمن التفكير الابتكاري القدرة على إيجاد حلول جديدة لمشكلة معينة، أو نماذج تعبيرية، أو فنية تؤدي إلى إنتاج جديد بالنسبة للفرد المبتكر ذاته، وليس شرطاً بأن يكون كذلك للآخرين [6].

نستخلص من هذا التعريف للقدرة على التفكير الابتكاري أن حل مشكلة معينة، أو إنتاج نماذج فنية، أو تعبيرية، تكون ابتكارية إذا كانت كذلك لصاحبها، وبذلك فإن هذا المفهوم لا يعطي أهمية لحكم الآخرين، أي أن رضا الجماعة لا يدخل في الاعتبار، وهذا يطرح مشكلة المعيارية للإنتاج الابتكاري، بمعنى هل أن الجديد يكون ذا قيمة واعتبار إذا لقي قبولاً من طرف الجماعة، أم أن قبول الجماعة للجديد ليس شرطاً للحكم؟ ونلاحظ في هذا التعريف أن حكم الجماعة على الإنتاج الابتكاري ليس ضرورياً، ولكن الجدة تتعلق بالمبتكر نفسه لا غير، وبهذا فإن هذا التعريف يؤكد على ذاتية الفرد في الحكم على إنتاجه الجديد، سواء أكان ذلك شيئاً محسوساً أو فكرة مجردة.

ويذهب كل من (ميد- وروجرز- و موراي 1959) إلى الرأي نفسه، ويؤكدون على (... أن مصدر التقويم لابد أن يكون داخليا بمعنى أن الإنتاج جديد طالما أنه جديد بالنسبة لمن أنتجه)[7].

وإذا كان هؤلاء الباحثون يرون أن الحكم على الجدة ينبغي أن يكون نابعاً من داخل الفرد المبتكر، فإن البعض الآخر يعارض هذا الرأي سوروكين (1961) -في أسلوبه الفلسفي المثالي- بأن النشاط الابتكاري لا ينبغي أن يطلق إلا على تلك الإضافات البناءة الجديدة التي تضيف إلى القيم العليا - الحق- والخير - والجمال، وغيرها من قيم إنسانية عليا [8].

يركز سوروكين (1961) على القيم الإنسانية العليا، فحكمه على الجدة حكم قيمة مبني على الحق والخير والجمال، وهي أمور مثالية نسبية في ثباتها، وبهذا فإنه يجمع بين نقيضين، فهو يضع القيم الإنسانيه كشرط أساسي للحكم على الابتكار، بينما النواميس الاجتماعية تقابل الجديد بالرفض في أغلب الأحيان، وتاريخ الشخصيات المعروفة بابتكاراتها العظيمة خير دليل على ذلك أمثال "طوماس أديسون" الذي لم يلق ولو مساعدة بسيطة عندما اخترع المصباح الكهربائي الذي يعتبر فتحاً علمياً في تاريخ الحضارة و(غليلو) لم ينصفه المجتمع عندما أخرج (نظرية كوبرنيق) من حيز الرياضيات إلى حيز الوجود الطبيعي، وتحطيمه التمييز بين الأرض و السماء.

إن كثيراً من الأعمال الجادة قد رفضت من طرف الجماعة، لأن أصحابها قد انحرفوا عن العادات والتقاليد التي استقرت عليها الجماعة "... وقد عانى إنشتاين في بداية توصله لنظرية النسبية من الاستقبال الساخر من زملائه العلماء المرتابين. و مما يصور أبلغ تصوير ما يواجهه المبدعون من متاعب تحتاج إلى قوة وشجاعة ما آل إليه مصير الرياضي الفرنسي" (إيفارست جلو) من القتل في سن قريب من العشرين في مبارزة بعد أن رفضت أكاديمية العلوم مذكرته التي توضح الجبر العالي، بحجة أنها غير قابلة للفهم، وإن كان عدد من العقول الممتازة قد قبلها بعد خمسة عشر عاماً[9].

هذا دليل كاف على أن رضا الجماعة ليس شرطاً أساسياً للحكم على الجدة والأصالة في الإنتاج الابتكاري، بل على العكس من ذلك فإن كثيراً من المبتكرين قد تعرضوا إلى مشكلات خطيرة بسبب أعمالهم الابتكارية أمثال (كوبرنيق) الذي انتهي أمره إلى الحرق، وذلك لمجرد أنه أثبت رياضياً حركة الأرض حول نفسها وحول الشمس، بدلاً من دوران الشمس حول الأرض، وإدخاله المفهوم الجديد في أن الحركة نسبية، وتختلف بسبب من يلاحظها، وذكره أن الثقاة من القدماء كانوا على خطأ، وأن الملاحظة والحس المشترك معرضان للخطأ، أما العقل المستند إلى الحساب الرياضي فهو وحده ما يمكن أن نثق به، وإيمانه بأن التحليل الرياضي يجب أن يحل مكان تجربة العوام[10].

وبالعودة إلى تاريخ الشخصيات التي كان لها دور كبير في تغيير المسار الحضاري في العالم، نجد أن هؤلاء يتميزون بخصائص سلوكية تجعلهم أكثر عرضة للرفض من قبل الجماعة التي ينتمون إليها[11].

بناء على تلك الشواهد التاريخية من حياة المبتكرين يتبين لنا أن الاعتماد على رضا الجماعة، وقيمها المثالية، قد يؤدي إلى عرقلة المبتكر، وضمور قدراته الابتكارية. لذلك فإن كثيراً من المبتكرين نجدهم يغامرون ويواجهون العادات والتقاليد المتعارف عليها، حتى أن البعض منهم يعرض حياته للهلاك بسبب تحديه لما تعارفت عليه الجماعة، وما توارثته عبر تاريخها الطويل.

ويركز (ل. هوبكنز) على التفسير النفسي للعملية الابتكارية، على أساس أن الابتكار يرتبط بأسلوب الحياة، لذلك فإنه يرى أن الابتكار هو الذات في استجابتها عندما تستثار بعمق وبصورة فعلية[12].

وبهذا فإن (ل. هوبكنز) يعتبر الابتكار عملية نفسية، وليس قدرة من القدرات العقلية. تلك العملية التي يمر بها المبتكر عندما يواجهه موقف، أو مجموعة من المواقف المعينة، حيث ينغمس فيها، ويتفاعل معها بعمق، بحيث يؤدي ذلك التفاعل إلى استجابة، أو مجموعة من الاستجابات، المختلفة في أبعادها عن استجابات الأفراد الآخرين، بمعنى أنها فريدة متفردة، ولهذا تسمى (أستجابة إبتكارية).

إن هذا المفهوم تطغى عليه العمومية، ولا يرقى إلى مستوى التفسير الوظيفي للقدرة على التفكير الابتكاري، لأنه لم يحدد إجرائياً كيفية استجابة الذات، ولا كيف تستجيب بعمق، بمعنى أن تلك الاستجابة نفسها تحتاج إلى تفسير، فضلاً عن تحديدها ما إذا كانت قدرة عقلية، أم سمة من سمات الشخصية.

ومن المفاهيم التي تؤكد على الابتكار باعتباره أسلوباً من أساليب الحياة، نجد مفهوم (ج. بيرتراند) الذي يرى أن الابتكار يعبر عن ملكة عقلية من نوع خاص، ترتبط بالقدرة على إنتاج أشياء جديدة، وتبدو كذلك بالنسبة لصاحبها، وذلك كله مرتبط أيضا بتطوره الاجتماعي[13].

إن هذا المفهوم لا يفرق بين الملكة والقدرة، فهو مرة يذكر أن الابتكار عبارة عن ملكة من الملكات العقلية التي تظهر في الإنتاج الابتكاري، ومرة أخرى يشير إلى أنها قدرة من القدرات العقلية وهذا معناه القول بعلم نفس الملكات العقلية الذي كان سائداً منذ أرسطو.

أما معيار الحكم على الإنتاج الابتكاري، فيرجعه إلى صاحب الإنتاج نفسه، وهذا معناه أنه أسلوب من أساليب الحياة، وليس قدرة من القدرات العقلية النامية بمؤثرات البيئة، مع أنه يؤكد النمو الاجتماعي، وارتباطه بالإنتاج الابتكاري.

ونجده في السياق العام نفسه يؤكد على الموهبة حيث يقول: "... البعض يؤكد على أن الكثير من الكائنات الحية موهوبة بالفطرة منذ ولادتها، بحيث تستطيع أن تظهر نوعاً من القدرة الابتكارية، و أن كل كائن حي مبتكر بالطبيعة، وهذا يعود إلى سر رباني"[14].

إن هذا الرأي يخلط بين الأفعال الغريزية التي تميز الكائنات الأدنى من الإنسان، وهي أفعال غريزية جامدة، بينما الابتكار على العكس من ذلك يتطلب نوعاً من المرونة في الأداء، والذي يتطلب نموذجاً من القدرات التي يسميها (ج.ب.جيلفورد) بقدرات التفكير التباعدي، وهي تظهر فيها الأصالة في الإنتاج الابتكاري. وإذا كان جيلفورد ومعاونوه يرون أن (الصفر المطلق) لا وجود له في القدرة على التفكير الابتكاري، ويؤكدون على وجودها الفطري، ولكن هذا خاص بالإنسان، لأنه يتميز بقدرات عقلية عليا، أما الحيوان فلا يدخل في هذا الإطار، لأنه حبيس أفعاله الغريزية المرتبطة بالمجال الحيوي الذي يعيش فيه.

وبناء على ما سبق يدخل هذا المفهوم للقدرة على التفكير الابتكاري ضمن المفاهيم التي ترى أن الابتكار أسلوب من أساليب الحياة المرتبطة بشخصية الفرد.

ويربط (م.أندروز1977) الابتكار بالفرد المبتكر وذلك من خلال عملية يمر بها الفرد، غير أنه لم يحدد لنا نوعية العملية، ولا المراحل التي تمر بها على غرار ما فعل (ولاس)، حيث يرى (أندروز) أن الابتكار هو تلك "... العملية التي يمر بها الفرد في أثناء خبراته والتي تؤدي إلى تحسين وتنمية ذاته كما أنها تعبير عن فرديته وتفرده"[15]

وكما هو ملاحظ فإن مفهوم (أندروز) يتفق مع مفهوم (هويكنز) الآنف الذكر، حيث أن كلاً منهما يربط الابتكار بذات الفرد وأسلوبه في الحياة، وذلك من خلال تفاعله مع البيئة والخبرات التي يمر بها، بحيث تؤدي تلك الخبرات إلى تنمية ذاته، وتحسين ظروفه باستمرار، ويعبر عن ذلك تعبيراً ابتكارياً دون النظر إلى حكم الآخرين عما ينتجه من ابتكارات. ويتضح من ذلك أن أندروز لا يعطي أهمية للقيم الاجتماعية، بل يربط الحكم على الجدة والأصالة بالفردية.

أما (إيريك فروم) فإنه يؤكد على السياق العام للحياة اليومية، والابتكار عنده لا يخرج على نطاق الخبرات اليومية التي يمر بها الفرد، لذلك فإنه يقسم الابتكار إلى مفهومين:

أ- يندرج الابتكار ضمن السياق العام لحياة الفرد، ففي كل يوم من حياة الفرد هناك جديد في حياته، لأنه لا يكرر السلوك نفسه عكس الكائنات الدنيا التي تقوم بأفعال غريزية يطغى عليها طابع الجمود والتحجر، وبهذا فإن الابتكار حسب رأي (إ.فروم) عملية نمو مستمرة مرتبطة بالخبرة والفعالية التي تضفي نوعاً من الجدة والتنوع على الحياة، فكل يوم من أيام الفرد تعتبر ميلاداً جديداً، وبالتالي فإن الفرد يرى فيها الجديد.

ب- ويرى (إ.فروم1959) من جهة أخرى أن الابتكار يرتبط بإنتاج شيء جديد يشاهده الناس، أو يسمعون عنه، والحكم عليه لا يكون إلا من خلال مقارنته بما هو متداول بينهم[16].

ويؤكد (إ. فروم) في الشق الثاني من مفهومه للابتكار على الجدة، ولكنها تلك الجدة المرتبطة بما هو متعارف عليه بين أفراد المجتمع، بل يذهب إلى أبعد من ذلك، ويرى أن الجديد لا يكون كذلك إلا إذا قارناه بما هو متداول بين الجماعة، وهنا تظهر الصعوبة، لأن عملية المقارنة في هذا المجال تعتبر محكاً للإنتاج الابتكاري، لأنه من الصعب ملاحظة ودراسة كل ما هو موجود، ومقارنته بالإنتاج الجديد للحكم عليه إن كان إنتاجاً ابتكارياً أو لا.

ويبدو أن المعنى الثاني من الصعب تحقيقه عملياً، وأن المعنى الأول أقرب إلى الصواب، حتى وإن طغت عليه الذاتية لأن الجديد إذا بدا لصاحبه كذلك، فإنه يؤدي إلى تحقيق الذات، حتى وإن كان ذاتياً يفتقر إلى الحكم المعياري.

ويرى البعض أمثال (م.ل. روكيت1981) أن هذا الخلط يرجع »... أساساً إلى غياب نظرية عامة ودقيقة، لذلك فإن الباحثين قد لجأوا إلى مجموعة كبيرة من الاختبارات لدراسة القدرة على التفكير الابتكاري[17].

وبما أن الجدة من الأمور النسبية التي تتوقف على ما هو موجود بالفعل لدى مجموعة معينة، فما قيمة هذا الحكم المعياري الذي يتبناه (إ.فروم) بالنسبة لفرد غير ملم لما وصلت إليه الجماعة التي ينتمي إليها، مع أن ما وصل إليه يعتبر جديداً بالنسبة إليه؟.

"... إن من أهم صفات الناتج الابتكاري الجدة.. أمر نسبي يحدد في ضوء ما هو معروف ومتداول في مجال معين من مجالات الحياة المختلفة، وبين أفراد جماعة معينة في زمن معين"(18).

إن (فروم) لا يفرق بين الابتكار في العلم والتكنولوجيا، وغيره من ميدان الفن كالتصوير والموسيقى والمسرح والشعر...إلخ، بل يرى أنه حتى في مجال العلاقات الاجتماعية لابد من وجود ابتكار ودرجة معينة من الذكاء، على أساس أن الابتكار أسلوب من أساليب الحياة، بالإضافة إلى وجود اتجاه، كشرط من شروط الابتكار، لأن الشخص المبتكر يتميز بمجموعة من السمات التي تميز شخصيته وتفردها، ومن بين ذلك الاتجاه الأصيل الذي يميز أصالته في الابتكار، وهذا لا يتأتى، ولا يكون واضحاً إلا إذا أنتج جديداً.

ويتفق (هـ. أندرسون 1959) مع كل من (هوبكنز) و (فروم) في النظرة إلى الابتكار من حيث أنه أسلوب من أساليب الحياة العامة، ولا يفرق بين الابتكار في العلوم و التكنولوجيا، والابتكار في الفن والعلاقات الإنسانية ويرى (أندرسون) أنه:

أ- ينبغي أن يكون هناك إنتاج جديد يقدم بحيث نلمسه أو نراه أو نسمع عنه، وقد يظهر ذلك الإنتاج في لوحة فنية أو اختراع جديد أو مسرحية أو قطعة موسيقية، إلى غير ذلك.

ب- الابتكارية السيكولوجية – الاجتماعية، وهذا يتطلب درجة من الذكاء السليم، وسمة الحساسية في إطار العلاقات الاجتماعية، واحترام الأفراد والجرأة في التعبير عن الأفكار، والقدرة على الدفاع عن الأفكار والمبادئ.

وقد لخص (كاظم كريم رضا 1982) مفهوم (أندرسون) كمايلي:

أ- أسلوب للحياة: الابتكار في مجال العلاقات الاجتماعية يتطلب الذكاء والإدراك السليم والحساسية واحترام الفرد والجرأة في التعبير عن الأفكار والاستعداد للدفاع عن المعتقدات.

ب- ناتج محدد: بأنه يرتبط بإنتاج يقدم نلمسه ونخضعه للدراسة وقد نستمتع به"(19).

ونستنتج من ذلك كله أن هذا المفهوم من بين المفاهيم التي تركز على اعتبار الابتكار أسلوباً من أساليب الحياة، ويظهر في مختلف السلوكات التي يقوم بها الأفراد، ولهذا فإنه واسع جداً يصعب التحكم فيه، لأن الناتج الابتكاري يتعدد بتعداد أنماط السلوك التي يقوم بها الفرد، وخصوصاً إذا تعلق الأمر بالسلوكيات التي تدخل في إطار العلاقات الاجتماعية، وما يتبع ذلك من سمات مزاجية وقدرات عقلية لازمة لإدراك حيثيات تلك العلاقات.

وينظر (أ- ماسلو1982) إلى الابتكار من جانبين يحددهما على النحو التالي:

أ- الموهبة: وهي تلك القدرة التي يظهر فيها الابتكار معتمداً على الموهبة الخاصة بابتكار الأعمال والاختراعات العظيمة التي لا تعتمد على مجرد الإلهام وإنما تعتمد على بذل

الجهد والتدريب الجاد والمتواصل والنقد البناء والتقويم الفعلي الذي يؤدي إلى التعديل المستمر للناتج الابتكاري.

ب- ابتكارية تحقيق الذات: ويسميها أيضاً الابتكارية الأولية وهي "... تلك العملية التي تنتج من استخدام العملية الأولية أكثر من استخدامها للعملية الثانوية، وهي تلك التي تتميز بالقدرة على التعبير عن الأفكار والحوافز دون كف ودون خوف من سخرية الآخرين"[20].

وكما نلاحظ أن (أ. ماسلو) يرى أن الابتكار يعتمد على بذل الجهد والجرأة وعدم الخوف من الأحكام السلبية التي يبديها الآخرون، وبهذا يتفق كل من (أندرسون) و(ماسلو) و(فروم) على أن الابتكار أسلوب من أساليب الحياة، حيث يظهر الجديد في كل يوم من حياة الإنسان، ويربطه (ماسلو) بالصحة النفسية، لأن الابتكار في نظره وجه من وجوه تحقيق الذات.

أما أندرسون فيرى أن الابتكار يرتبط بالعلاقات الاجتماعية، ويظهر في قدرة الفرد على الإدراك السليم و احترام الآخرين، والشجاعة في التعبير عن الأفكار الجديدة، والصمود والدفاع عن المبادئ والمعتقدات التي يؤمن بها الآخرون.

الابتكار على ضوء الإنتاج:

ينظر بعض الباحثين إلى الابتكار من خلال الناتج الابتكاري نفسه، وليس على أساس أنه قدرة عقلية، أو عملية نفسية، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أنه لا يمكن الحكم على الابتكار إلا على ضوء ما أنتجه الفرد من أعمال ابتكارية فنية كانت أو فكرية.

ومن بين هؤلاء نجد (ك.رجرز1959) الذي يرى "... أن العملية الابتكارية هي ما ينشأ عنها أو ينتج عنها ناتج جديد نتيجة لما يحدث من تفاعل بين الفرد بأسلوبه الفريد وما يوجد في بيئته و يواجهه"[21].

ويضيف (رجرز1959) أيضا قوله: "... قد يكون الشرط الأساسي للابتكار هو أن مركز تقويم الإنتاج داخلي"[22].

ويتضح مما سبق أن العلاقة الوظيفية بين الفرد وبيئته هي التي تؤدي إلى ناتج ابتكاري، ومادامت العلاقة التفاعلية مستمرة، فإنها تطرح على الفرد إشكاليات مرتبطة أصلاً بدوافعه وحاجاته التي تجعله يعمل على حلها. وتلك الحلول المتنوعة هي التي يظهر فيها الإنتاج الابتكاري الجديد. إن (ك. رجرز) يربط الابتكار بالإنتاج الجديد الذي هو نتيجة التفاعل الوظيفي بين الإنسان ومكونات البيئة التي يعيش فيها، ولكن يشترط في ذلك الأسلوب الفريد الذي يعبر به عن فرديته، لأن ذلك الأسلوب هو الذي يميز الناتج الابتكاري الأصيل، و بما أن الناتج الابتكاري تميزه الأصالة، والتي هي شرط من شروط الناتج الابتكاري، فإنها لا تحقق إلا توافر التفاعل الوظيفي الفريد الذي على ضوئه تتم عملية الإنتاج الابتكاري.

يقول (سامي أدهم 1989) في ذلك "... إن الحس المشترك يضع الإبداع في اللوحة والقصيدة واللحن وينسى أن العمل الفني والمبدع هو للأنا بل هو لكل ذات تحس"[3] وهذا معناه أن العملية الابتكارية ينبغي أن تتجسد في إنتاج واضح و محدد يعبر عن أصالة صاحبه سواء كان ذلك عملاً فنياً أو علمياً.

إن هذا المفهوم تعترضه مشكلات منهجية، من بينها مشكلة التنبؤ، لأنه إذا كان من الأهداف الكبرى للعلم هو التنبؤ بالسلوك اللاحق، فإن انتظار الفرد حتى ينتج جديداً لنحكم عليه يعتبر إلغاء مباشراً لعملية التوجيه السليم، بل على العكس من ذلك ينبغي البحث عمن لديهم قدرات ابتكارية، وحتى نستطيع توفير الإمكانيات الضرورية لتنمية و توجيه تلك القدرة الابتكارية، وحتى نضمن نموها في الاتجاه المرغوب فيه، وبالتالي الحفاظ على عبقرية الأمة واستثمارها بكيفية تسمح لها بالمساهمة في البناء الحضاري، وإذا لم نقم بعملية البحث هذه، فإننا نضيع الفرص على ذوي الإمكانات الابتكارية، وهذا ما نستطيع أن نسميه (إهدار عبقرية الأمة)، وخلاصة القول إنه يعاب على مفهوم (ك. رجرز) اعتماده على الإنتاج الابتكاري، كمحك، دون النظر إلى الابتكار على أنه قدرة عقلية تساهم بقدر كبير في ذلك الإنتاج. وبدونها يظل كل تفسير لظاهرة الابتكار أمراً مقصوراً على المفاهيم الذاتية التي لا ترقى إلى مستوى المنهج العلمي وبدون تلك القدرات الخاصة لا يمكن التحدث عن الإنتاج الابتكاري.

ويؤكد (محمد عماد الدين سلطان 1965) من ناحية أخرى على التكوين العقلي والدافعية، فيقول: "... إن الابتكار يتطلب تكويناً عقلياً ودافعية معينة، مع دراسة لظروف البيئة الخارجية التي ينمو فيها هذا التكوين، بحيث يصبح العنصر الأساسي في الابتكار هو إنتاج شيء جديد"[23].

يركز هذا المفهوم على الإنتاج الابتكاري، ويشترط في ذلك الدافعية التي هي الطاقة لعملية التفاعل الوظيفي بين الفرد المبتكر والبيئة التي يعيش فيها، لأن ذلك الجهد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدافع الذي من خلاله تتم عملية إعادة التوازن للفرد المبتكر، وهذا يتطلب توافر العناصر التالية:

1- تكويناً عقلياً.

2- توافر الدافعية.

3- دراسة وافية لمكونات البيئة الخارجية التي ينمو فيها الفرد عقلياً ووجدانياً وحركياً.

إن الاعتماد على الناتج الابتكاري، كمحك للحكم على المبتكر، يضيع فرصة توجيهه نحو الأنشطة السلوكية التي تساعد على تنمية قدراته، وتفتحها لذلك، فإن الباحثين يرون أنه ينبغي البحث على أهم القدرات العقلية التي قد تؤدي إلى الابتكار، وبذلك يمكن القيام بأبحاث علمية تنبؤية، وذلك باستخدام مجموعة من الاختبارات المقننة، وغيرها من الوسائل التي تساعد على الكشف على تلك القدرات، والتنبؤ بها.

الابتكار كقدرة عقلية:

إن الاعتماد على الإنتاج الابتكاري وحده لا يساعد على توضيح العمليات العقلية التي تؤدي إليه، ولا تحدد نوعية القدرات العقلية المسؤولة عنه، لذلك فإن الكثير من العلماء والباحثين في الوقت الحالي يبحثون عن العمليات العقلية في ضوء العملية التي ينتج عنها الابتكار، ومن بين هؤلاء نذكر:

(م. شتاين1956- ج.ب. جيلفورد1956- إ.ب. تورانس1956) وغيرهم.

ويرى (مير شتاين) في هذا الصدد أن "... الابتكار هو عملية تتضمن معرفة دقيقة بالمجال وما يحتويه من معلومات أساسية، ووضع الفروض، واختبار صحة الفروض، وإيصال النتائج إلى الآخرين"[24].

يلاحظ على مفهوم (م. شتاين) أنه يربط الابتكار بالعملية، ولكنه لا يوضح إن كانت عملية نفسية أو عملية عقلية، بالإضافة إلى ذلك فإن ربط الابتكار بمعرفة المجال، وما يحتويه من أفكار ومعلومات، يجعله أقرب إلى العلاقة الوظيفية بين الفرد والبيئة التي يتفاعل معها، غير أننا نجد الكثير من الابتكارات العظيمة التي لها تأثير كبير في تاريخ الحضارة، ومع ذلك فإن أصحابها لم يكونوا على دراية كافية بالمجال أو المعلومات التي يحتويها ذلك المجال، بل إنهم عن طريق الصدفة وجدوا أنفسهم أمام ظواهر معينة، فقاموا بتفسيرها، وكان ذلك ابتكاراً عظيم الأهمية. وحسب (مدنيك1981) فإن الابتكار يخضع إلى ثلاث معطيات أساسية من بينها (الصدفة)[25].

ويركز (إ.ب. تورانس1962) على التحسس للمشكلات، وفرض الفروض، واختبار صحة تلك الفروض، وكل ذلك يتم في مجال معين يعتبر مصدر المعطيات المختلفة التي تكون عوامل المشكلات، ويؤكد ذلك تورانس، حيث يرى أن الابتكار هو "... العملية التي تتضمن الإحساس بالمشكلات والفجوات في مجال ما تم من تكوين ببعض الأفكار أو الفروض التي تعالج هذه المشكلات، واختبار صحة هذه الفروض، وإيصال النتائج التي يصل إليها المفكر إلى الآخرين"[26].

إن هذا المفهوم قريب جداً من مفهوم (م. شتاين)، ولكنه لا يكتفي بمؤثرات المجال وحده، وإنما يعتمد أكثر على القدرات على التحسس للمشكلات التي يطرحها هذا المجال، ثم فرض الفروض، واختبار صحة تلك الفروض، بالإضافة إلى قدرة الفرد على إيصال تلك الحلول إلى الآخرين، وهذا معناه قدرة المبتكر على الدفاع عن حلوله ومبادئه وأفكاره الجديدة.

إن ربط الابتكار بالقدرة على حل المشكلات أمر مشكوك فيه، لأن الكثير من الأعمال الابتكارية لا تخضع لأسلوب حل المشكلات مثل الأعمال الأدبية والموسيقى والرسم، إلى غير ذلك من الأعمال التي لا تطرح مشكلات. ويرى في ذلك (س.تايلور1977) "... بأن هناك خلطاً بين الابتكار وأسلوب حل المشكلات، فهناك من المبتكرين من لا يجمع البيانات الكافية في

المجال الذي يعمل فيه، أو يهتم بفرض الفروض، وإنما يترك فكره حراً يتجول في المجال. وهذا هو ما يثير دهشة زملائه"[27].

ويذهب (هيلجارد1977) إلى الرأي نفسه، حيث يقول: "... بأن هناك من الحلول ما لا نحكم عليه على أساس صحته بقدر ما نحكم عليه على قدر أصالته"[28].

ويشير (عبد السلام عبد الغفار 1973) إلى أنه لا يوجد هناك فروق أساسية بين عملية الابتكار ونموذج حل المشكلات[29].

نستخلص مما سبق أن القدرة على التفكير الابتكاري لا تتعلق بأسلوب حل المشكلات فقط، وإنما يمكن ظهور الابتكار دون الاعتماد على أي من الشروط التي وضعها كل من (شتاين) و (تورانس).

وفي الحقيقة أن مفهوم (إ.ب. تورانس) مبني أساساً على (... نظرية بناء العقل) للباحث الأميركي (ج.ب. جيلفورد) فمن خلال مجموعة كبيرة من الأبحاث العالمية التي قام بها (ج.ب. جيلفورد) ومعاونوه توصل إلى تحديد نموذجين من التفكير هما:

أ- التفكير التقاربي، وهو التفكير الذي يعتمد على الحل الوحيد، أو الاستجابة الوحيدة والدقيقة، وكل المبادرات الاستكشافية تكون عادة موجهة نحو التقدير الدقيق للاستجابة. وهذا الشكل من التفكير خاص بحل المشكلات المحددة تحديداً دقيقاً ويعني ذلك أن تكون محددة تحديداً معيارياً، أو أنها مبنية على أساس محك معين (قبل كل شيء المشكلات ذات الخصائص المنطقية)[30].

ب- التفكير التباعدي: وهو عكس التفكير التقاربي، حيث أن الفرد يأتي بحلول متنوعة للمشكلة الواحدة، ويستخدم خبرات ومعلومات متنوعة. إن تبني هذا النوع من التفكير في حل المشكلات يسمح بتجميع استجابات غير متناهية، وهذا معناه حصر عدد من المشكلات غير المحددة تحديداً دقيقاً.

وبصفة عامة، فإننا نتحدث عن أفراد ذوي تفكير تقاربي، لديهم قدرات عقلية عليا، ويظهرون تفوقاً عقلياً، وأفراد ذوي تفكير تباعدي لا يبدون أي تفوق عقلي على مقاييس الذكاء[31].

وبناء على ذلك يحدد مفهوم الابتكار، حيث يقول: " إن الابتكار هو تنظيمات من عدد من القدرات العقلية البسيطة وتختلف هذه التنظيمات فيما بينها باختلاف مجال الابتكار"[32].

إن الأبحاث التي قام بها (ج.ب. جيلفورد) ومعاونوه في ميدان القدرات العقلية، وخصوصاً القدرة على التفكير الابتكاري، أدت إلى الكشف عن مجموعة من العوامل الأساسية تنتظم في ما بينها لتكون القدرة على التفكير الابتكاري، نذكر من بينها على سبيل المثال:

1- الأصالة: وهي القدرة على إنتاج أفكار نادرة إحصائياً.

2- الطلاقة اللفظية: وهي القدرة على إنتاج كلمات وفقاً لشروط معينة يحددها الاختبار.

3- المرونة: وهي القدرة على إنتاج أفكار تنتمي إلى موقف معين يحدده الاختبار.

4- التفاصيل: وهي القدرة على إعطاء تفاصيل متعددة لموقف معين يحدده الاختبار.

وهذه كلها عوامل أو قدرات بسيطة توصل إليها (جيلفورد) ومساعدوه، ويتضمنها بشكل أساسي نمط التفكير التباعدي الذي يعتبره (جيلفورد) أساس التفكير الابتكاري، وهو تفكير يخرج على نمط التفكير الذي تعارفت عليه الجماعة التي ينتمي إليها الفرد من حيث السن والنمط الثقافي والمستوى التعليمي، إلى غير ذلك من العوامل التي من شأنها أن تؤثر على نمط التفكير، وتوجهه وجهة معينة.

ويلخص (ج.ب. جيلفرود) مفهوم التفكير التباعدي كمايلي: "... حيث يتجه التفكير اتجاهات مختلفة، ويتميز التفكير التغييري بأنه أقل تقييداً في تحديد هدفه، كما يتميز بحرية توجه التفكير إلى عدة اتجاهات، وقد تكون هذه الحرية كاملة حيث لا يكون هناك هدف محدد، أو يكون هناك هدف معين، لكنه هدف واسع يمكن بلوغه عن طريق عدد متنوع من الإجابات، ومن الخصائص الأساسية للتفكير التغييري رفض الحلول القديمة، والعثور على اتجاهات جديدة للتفكير من شأنها ترجيح نجاح التركيب الخصب أو البناء الثري، وهذا النوع من القدرات الذي يمكن أن يمثل بحق القدرات الإبداعية"(33).

وبناء على ذلك أن التفكير التباعدي هو أساس القدرة على التفكير الابتكاري، ومع ذلك فإن القدرة على التفكير التقاربي لا يمكن الاستغناء عنها، ذلك أن عملية التقويم التي يقوم بها المبتكر لإنتاجه تقوم على أساس الحكم وهو بدوره يقوم على إدراك العلاقات المنطقية التي تدخل ضمن التفكير التقاربي.

خلاصة:

نستخلص مما سبق أن الباحثين في موضوع القدرة على التفكير الابتكاري قد اختلفوا في ما بينهم، حيث نجد بعضهم قد نظر إليه من الناحية الاجتماعية، وربطه بالحياة، أي أنه أسلوب للحياة يعبر فيه المبتكر عن رؤية شخصية حول ظاهرة من الظواهر المعينة. ولما كان تاريخ الشخصيات المبتكرة يدل على التعارض الذي يقع ما بين المبتكر والقيم الاجتماعية، فإن اعتبار الابتكار كأسلوب للحياة يبدو أنه من غير المجدي أن ننظر إلى القدرة على التفكير الابتكاري على أنها أسلوب من أساليب الحياة.

يضاف إلى ذلك أن بعض الباحثين أمثال (د. ماكينون) ينظرون إلى الابتكار كناتج محدد، ويرون أن الحديث عن القدرة على التفكير الابتكاري دون محك لا يمكننا تفسيرها والحكم عليها، ولذلك يتخذون من الابتكار نفسه محكاً ينطلقون منه لدراسة الابتكار والشخصية المبتكرة في حد ذاتها.

ويلاحظ على هذا الاتجاه أنه لا يساعدنا على الاكتشاف المبكر لذوي القدرة على التفكير الابتكاري حتى نستطيع توجيههم بما يتوافق مع ما لديهم فعلاً من إمكانيات عقلية نامية.

وقد تعرضنا خلال هذا الفصل إلى الباحثين الذين ينطلقون من أن القدرة على التفكير الابتكاري هي قدرة "عقلية نامية" ومن هؤلاء (إ.ب. تورانس وج.ب. جيلفورد) وغيرهم، فقد نظر هؤلاء إلى الابتكار على أنه قدرة عقلية نامية تتأثر بالظروف البيئية المحيطة.

إن هذا الفريق من الباحثين يعطي أهمية كبيرة للعملية التربوية، حيث إن المبتكر يمكن اكتشافه عن طريق اختبارات مقننة، وبالتالي توجيهه وجهة تتفق مع ما لديه من قدرة ابتكارية.

وفي هذه الدراسة نتبنى هذا الاتجاه الأخير، الذي ينطلق من أن الابتكار قدرة عقلية نامية يمكن قياسها، وهي قدرة يتميز بها كل الأفراد الإنسانيين بحسب فروقهم الفردية، ولذلك فإن الاختبارات المقننة التي تطبق في هذا المجال ينبغي أن تكون ذات قدرة على التمييز حتى تسمح لنا بتصنيف الأفراد، وبالتالي توفير الشروط البيئية المناسبة لهم، وبذلك نستطيع المحافظة على الثروة البشرية للأمة.[3]

النفس المغلولة
سيكولوجية السياسة «الإسرائيلية»

المؤلف: محمد أحمد النابلسي.

الناشر: مراكز الدراسات النفسية ط2 / 2002

يقدم الكاتب تحليلا نفسيا لبعض المواقف «الإسرائيلية» عبر استنباطه للاشعور اليهودي المنتج لهذه المواقف والمحدد لاتجاهاتها. وفي سبيل ذلك يقوم المؤلف بتوظيف الأنثروبولوجيا النفسية والسيكولوجيا لتوضيح مواقف «إسرائيلية» مثل المراوغة والاحتيال في المفاوضات، ومحاولات الاختراق «الإسرائيلية» تحت مسمى «التطبيع». وأيضا زيارة شارون المشؤومة إلى الأقصى..إلخ، من مواقف الخداع «الإسرائيلي».

وكان لابد للمؤلف من البداية بتقديم تحليل نفسي للشخصية اليهودية، ليخلص من خلالها إلى التقرير بعجز «إسرائيل» عن إقامة علاقة طبيعية مع الآخر. لذلك فإن السلام يثير الرهاب والهلع لدى «الإسرائيليين». من هنا فهي تسخر قوتها وقدراتها على الاحتيال والخداع لتجنب كأس السلام.

فالنفس «الإسرائيلية» يستعبدها المال وتكبلها الشائعات وتخنقها الأساطير.... إنها النفس المغلولة.

الهوامش:

(1) – للتعرف على طرق التحليل العاملي أنظر:

أ– فؤاد البهي السيد / علم النفس الإحصائي وقياس العقل البشري – دار الفكر العربي القاهرة 1979 ص687.

ب– صفوت فرج: التحليل العاملي في العلوم السلوكية – دار الفكر العربي – القاهرة 1981.

(2) – الطاهر سعد الله : التفسير النفسي للعملية الابتكارية – التبيين – مجلة ثقافية محكمة تصدر عن جمعية الجاحظية – العدد –20

(3)- A. LALANDE: Vocabulaires Techniques et Critiques de la philosophie:presses universitaires de france paris 1951 P 194.

(4)- A. LALANDE IBID P 544.

(5)- A. LALANDE IBID P 544.

(6)- H.B. English and A.C. English A comprehensive dictionary of psychological and sychounalitical terms new-york longmens 1958 - p 129.

(7) – عبد السلام عبد الغفار: التفوق العقلي والابتكار – دار النهضة العربية – القاهرة 1977 ص 129.

(8) –عبد السلام عبد الغفار: المرجع السابق ص 129.

(9) – عبد الحليم محمود السيد / الإبداع والشخصية دراسة سيكولوجية دار المعارف بمصر – القاهرة 1973 ص 24–25.

(10) – عبد الحليم محمود السيد/ المرجع السابق ص 25.

(11) – للتطرق على الدور التاريخي لبعض الشخصيات أنظر: يوسف مخائيل أسعد: العبقرية والجنون – مكتبة غريب – القاهرة (ب، ت) ص 156– 182.

(12)- L. Hopkins: Integration its meaning and application new york D Appleton 1937. P 148.

(13)- J. BERTRAND: decouvrete invention - cnstenction in: Art et Science de la créativité - Union general d'edtion paris p7.

(14)- Ibid P7.

(15) – عبد السلام عبد الغفار: التفوق العقلي والابتكار دار النهضة العربية – القاهرة – 1977 ص 125.

(16)- E. FROMM: The creativity Attitude. in Adresson créativity and its Cultuvation- new-york 1959 P44.

في عبد السلام عبد الغفار: التفوق العقلي والابتكار – دار النهضة العربية – القاهرة 1977.

(17)- Michel - Louis - Rouquette: la creativité - que- Sais- je presses universitaires de prance 1981 P 31.

(18) – عبد السلام عبد الغفار: التفوق العقلي والابتكار – دار النهضة العربية – القاهرة 1977 ص 131.

(19)- H. ANDERSON: creativity as personality development in- Anderson. H. (ed) creativity and its cultivation new-yorik- horper 1959 P32.

في كاظم كريم رضا: علاقة قدرات التفكير الإبتكاري بالتحصيل الدراسي – رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بغداد العراق 1982.

(20) – عبد السلام عبد الغفار: التفوق العقلي والابتكار – دار النهضة العربية – القاهرة 1977 ص127.

(21)- C. ROGERS: Toward a Theory al creativity: in . H. Anderson (ed) Creativity and its cultivation new-york harper and Row 1959 P 71.

في عبد السلام عبد الغفار: التفوق العقلي والابتكار – دار النهضة العربية – القاهرة 1977.

- Ibid p76. [2]

[22] - سامي أدهم: الإبداعي/ الخيالي - الفكر العربي المعاصر - مركز الإنماء القومي - لبنان العدد 66-67 جويلية أوت 1989 ص44.

[23] - محمد عماد الدين سلطان: دراسة تحليلية لأهم قدرات التفكير الإبتكاري - المجلة الإجتماعية القومية مجلد -2- عدد -2- القاهرة 1965 ص81.

[24]- M.STEIN: A transaction Aproach to créativity in: C.Taylor: «ed» Universty of UTAH research conferance on the identifications of creative scientifique talent Salt lake city universty of UTAH press 1956-P 117.

في: عبد السلام عبد الغفار: التفوق العقلي والإبتكار دار النهضة العربية - القاهرة 1977.

[25] - أنظر هذه المعطيات في:

M.L. Rouquette: la créativité. presses Universitaires de france paris 1981- P21.

[26]- E.P. TORRANCE: Guiding creative talent englewood cliffs h.j. prénice hall inc 1962 P16.

[27] - عبد السلام عبد الغفار: التفوق العقلي والإبتكار -دار النهضة العربية - القاهرة 1977 ص122.

[28] - المرجع السابق ص 122.

[29] - عبد السلام عبد الغفار: في طبيعة الإنسان دار النهضة العربية - القاهرة 1973 ص16.

[30]- M.L. Rouquette: la creativite: presses universitaires de france paris 1981 P: 18-19.

[31]- Ibid P 19.

[32]- J.P. Guilford: The nature of Humain intelligence new-york Magraw - Hall- 1967 P 545.

[33] - عبد الحليم محمود السيد / الإبداع والشخصية - دراسة سيكولوجية - دار المعارف بمصر - القاهرة 1971 ص 208.

التحليل النفسي للرئيس الأميركي
وودرو ولسون

المؤلف: سيغموند فرويد.

تعريب وتقديم: محمد أحمد النابلسي.

الناشر: مركز الدراسات النفسية 2003

يبدو الفرق شاسعا بين سلوك الرئيس ولسون والرئيس ووكر بوش. لكن التحليل النفسي يربط السلوك بثنائية العواطف. بحيث يمكن للشخصية اعتماد السلوك أو عكسه بسبب هذه الثنائية.

إن قراءة تحليل فرويد لشخصية ولسون تبين تقاربها مع شخصية ووكر بوش. ولهذه المقاربة أهميتها في زمن الفوضى الأميركية الراهن.

لقد دخل ولسون بأميركا وحيدا إلى المسرح الدولي. وكان دخوله ضعيفا. وها هو بوش يخرجها من هذا المسرح مدفوعا بسيطرة من صقوره. ويبدو الخروج عنيفا ودمويا.

قراءة تحليل ولسون مفيدة لفهم زمن ووكر بوش الغامض.

وها هو الكتاب...

الدكتور محمد حمدي الحجار
العلاج السيكوسوماتي المعرفي

تقديم الدكتور محمد أحمد نابلسي

مركز الدراسات النفسية- 2004

أهمية هذا الكتاب أنه جمع خلاصة التجربة العيادية لمؤلفه الذي يضمنه حالات عيادية ومقالات نظرية تصلح لأن تكون دليلا للمعالج النفسي في مجال العلاج المعرفي. كما يصلح الكتاب للراغبين في الاستفادة من هذه النظرية للتخلص من معاناتهم النفسية المزمنة و/أو الراهنة، من مواقف نفسية كانت عصية على الهضم الفكري والذكروي. وفي هذه الحالات تسيطر ذكريات هذه المواقف على سلوك الشخص وردود فعله، فتصيب وعيه بالكدر، وتعيق فهمه لحقائق الأشياء، فيتحول موقفه إلى التوقع، ويفقد القدرة على الانتظار، ومعها القدرة على استيعاب الجديد وإمكانيات تطوير ردود فعله، وتجاوز أزماته، خاصة وأن النفسي يمكنه أن يتمازج مع الجسدي في هذه الأزمات وردود الفعل. وهي وضعية تربك الأطباء العضويين وتدفعهم لإدراج هذه الحالات في إطار الحالات غير الشخصية عضويا، حيث لا يفوت المؤلف التركيز على الرابط النفسي والجسدي الذي يقوده لمناقشة المواضيع السيكوسوماتية، حيث الشدة النفسية تؤثر على جهاز المناعة فتفتح الأبواب أمام الأمراض المناعية المختلفة. كما يمكن للاكتئاب أن يلبس قناع الشكاوى الجسدية دون إهمال إمكانية ارتباط الاكتئاب بأسباب عضوية، مما يقتضي عدم الفصل بين النفسي والجسدي في تشخيص وعلاج الاضطرابات النفسية والجسدية.

WHAT HAPPENED TO DEATH ANXIETY?

Construct validity and psychometric refinements are the hallmarks of Templer's Death Anxiety Scale (1970, 1978), but missing is a well defined criterion of high and low "Death Anxiety". TDAS generated a healthy stream of research of paramount importance throughout the US and the world. Templer (2004) cites nine conclusions which sum up his research over four decades. Two conclusions are reviewed here: "Higher TDAS scores are associated with scores in the more pathological direction on scales of personality, adjustment, and psychopathology." Second: "TDAS studies in different parts of the world yield similar findings with respect to gender, age, personality correlates, religion, factor structure, and family resemblance." This reviewer contends that scores on the TDAS, or related instruments, do not tell a personal account of the "fear of death", but provide norms for various groups. Persons with the same scores may show different fears of death, and those with different scores may show similar fears. Strictly empirical scales fail to disclose the "meaning" of death anxiety.

Empirical research on anxiety seems to have reached a dead-end for two reasons: TDAS ostensive definition of "death anxiety" spelled out in 15 items expresses a mixture of fears, phobias and obsession with thoughts of illness, cancer, heart disease, and wars. This delimits any further exploration for a multi-faceted concept like life-death anxiety. As a verbal report TDAS confuses the mechanisms of "experience" in a phrase like: "I am very much afraid to die," with the ongoing "life experiencing" that is not verbally articulated, and yet generates such thoughts. There is a mixture of individual thoughts about death with group norms on various related concerns, e.g. "I shudder when I hear people talking about a World War III". Second, the absence of an articulated ontology for a bipolar life-death continuum is equally delimiting. Templer's DAS purports to be strictly empirical, and addresses "thoughts" about death of others even though its items are cast in the first person singular. TDAS may disclose abstract group norms of a "cognitive-affective" construct, and yet it cannot generalize cross-culturally. Similarities of means do not allow a meaningful comparison between cultures. Fear of dying as an existential anticipatory mode of being in the world is embedded in a genetic/cultural matrix which varies individually and culturally. TDAS objectifies "Death Anxiety" into empirical numerical data about "death" of others. It lacks an ontological "meaning" of life and death. An exploration of "a human being-unto-death" cannot be articulated by empirical scales.

This is a call to supplement the quantitative empirical method of TDAS with a qualitative phenomenology of personal constructs using Kelly's method. It is not possible to explore the meaning of death without examining the relation of the "ontic" to the "ontological". Understanding how we experience the "lived world" in

a descriptive personal account brings us closer to an understanding of the meaning of death anxiety than a valid score on an empirical scale.

The first step in reviewing research on "death anxiety" is to situate it within its historical and social context in the early sixties in the United States. Templer's DAS was conceived within the cold war between the US and the Soviet Union. There were two major sociological theories about death at that time. One was "the gift of life exchange" model advocated by Parsons & Lidz (1967), and the other is the "denial of death" by Becker (1973). There was an awareness of a subtle cold war with threats to life on college campuses across the United States.

Templer's empirical investigations of death anxiety did not stem from either Parsons & Lidz, or Becker, which would have entailed developing a bipolar scale of Life-Death Anxiety. TDAS 15 items do not address life-death anxiety. They address "death of the other" in an abstract fashion using group norms for cross-cultural comparisons.

When Templer constructed TDAS there were good reasons for developing a unipolar scale. One of the 15 items of TDAS reads: "I shudder when I hear people talking about a World War III," may have reflected the zeitgeist, but the others were atheoretical. Space exploration, and the student rebellion against atomic warfare dominated the headlines. The Vietnam war may have augmented fear of death among college students who wanted to avoid the draft. The theme of "Better red than dead" lead by Bertrand Russell and Jean Paul Sartre was a popular outcry among US college students of the early sixties. Sartre turned down the Nobel prize in order to protest the western arsenal of nuclear weapons of mass destruction, which threatened world security. TDAS (1970) pioneered as an international movement to measure and understand "death anxiety", as it was superficially called at that time, without any reference to a philosophical position. While psychometric validity was achieved, a better understanding of the meaning of death is yet to come, perhaps with a bipolar rather than unipolar scale.

Death Anxiety scales were developed in different languages in several cultures, east and west, for over thirty years. TDAS was translated and adapted to over 26 languages with results, similar in some ways and different in others, to those found in the United States. Yet the full impact of these similarities and differences is not understood. Death anxiety cannot be understood in a univocal way by objective scales such as TDAS. As a global concept "death anxiety" cannot be understood by an impartial objective investigation of individual responses to 15 items. There is no way of identifying the global construct of "death anxiety" without raising the question about what life means to every respondent. Current research assumes equivalence between the abstract meaning of death and the personal ontological meaning. In responding to an item about "my" death I am giving an opinion based on external knowledge. It is an attempt to equate "being human" with one's inner fears about his or her death. As Gelven (1970) states: (1)"Being" cannot be analyzed as an entity, and hence any ontical analysis that makes use of categories -by which we describe entities- is in principle inadequate; (2) it is meaningful none the less to inquire about the meaning of Being, since there is another type of inquiry - the ontological." (p.24)

We know more now than we did in the sixties about the demographic, situational, and personality correlates of death anxiety. We are aware of sex and age differences on TDAS. They are not easily altered by well-intentioned educational intervention. We know that lower scores on the TDAS are associated with scores in the direction of better adjustment on existential variable. But we do not know how to measure these existential variables in a concise group administration. We know that it can be done on an individual basis in contemplation, or in psychotherapy. Measurement without descriptive individual profiles cannot come to grips with the meaning of death anxiety.

Kastenbaum & Costa (1977) show that the Death Anxiety scales developed are conceptually impoverished in their definitions of death anxiety, and rely almost entirely on limited samples of college students for their generalizations about a much deeper construct of death anxiety. Total reliance on empirical research results in obfuscation rather than clarity because it confuses discovering group "norms" with one's experience of an advancing threat of dying. They are not the same, and yet empirical investigators seem to assume that they are.

There is an intricate connection between the " empirical structure" of death anxiety and "religiosity" as an "ontic" structure on an individual level. This was attempted when Lester (1993) called for the distinction between "my death and the death of the other". A subsequent attempt to investigate the existential dimension of religion in death anxiety was done by Thorson & Powell (1990), and by Thorson, Powell, Abdel Khalek & Beshai (1997). Such a relatively bipolar approach combines the "ontic" measurement by two scales: TDAS and IRM with the "ontological" religious beliefs of Moslem and Christian students. This study found significant differences between mean scores on death anxiety and religious belief, but offered no explanation on how these beliefs influence the meaning of death anxiety in each culture

Neimeyer and Eptig (1992) attempted to overcome the nomothetic approach by adopting Kelly's Personal Construct theory, which comes close to an idiographic approach to Death Anxiety because it allows the responder to use his own language in describing personal constructs. One subject may say that he is afraid to be buried while another may say that he is afraid to be cremated. Using Kelly's (1955) theory and the Repertory Grid the researcher may arrive at a number of core constructs, which "govern one's identity and existence". There are other ways of tapping one's innermost fear of death. Some therapists use such constructs in therapy with PTSD patients, and with dying patients to provide coherence for the complexity of one's confrontation with death.

Most patients in therapy attempt to disclose personal constructs in their dialogues with the therapist. Kelly's method advocates asking each patient questions like: "In what way is your fear of death similar to that of someone you knew, and different from death in general?" Any two traumatic events in war, for instance, may be similar but also different in some way. Kelly (1955) was an early advocate for the qualitative method via his Personal Reportory test.

Lester (1993) made his critique of nomothetic measures of "death anxiety" when he commented on a paper by Abdel-Khalek, Beshai, & Templer (1993) by

stating that the factor structure of Templer's Death Anxiety Scale for different cultures can not account for a universal death anxiety sex difference. Filipino women did not match the pattern reported for Egyptian women. Abdel-Khalek and Beshai (1993) responded by stating that universality cannot be attained by empiricism. Being human is an entity that cannot be an empirical variable. It is a primary ontology that requires a discursive account. It can only show itself in the manner that it shows itself. Words are approximations of how being human shows itself. Scales and numbers objectify a living structure and deprive it of its innermost possibility of being. Another way of saying this is that a "structure" like "death anxiety" cannot be measured, but can be understood.

If one can assume that each item of the 15 items of TDAS is an individual construct from one respondent who said: "I fear dying a painful death", how can such a response defined as a quantity from 1 to 15 be compared with the mean responses of Filipino and Egyptian women? Each respondent has his or her own personal construct of death, which leads him or her to a score within that range. Death Anxiety in cross-cultural research is an abstraction that throws no light on the meaning of death for different religions or different cultures. Scales lend themselves well to a variety of conditions, but the results of these scales do not generalize to the natural world. TDAS is a well-constructed psychometric instrument, and arguably the most efficient of all scales on death anxiety, but it is not possible to generate meaningful conclusions from it. The experience of the death of others does not entail what has not been verbalized, and what may yet be verbalized over time.

Death anxiety for any responder is bound to evoke some significant cognitive-affective components, but it is by no means an adequate representation of one's awareness of death or consciousness of being in the world. It is not clear how the results can be applied cross-culturally.

Templer (2004) identified the findings of his research on death anxiety as follows:

1. Highly religious persons tend to have lower scores than persons who are less religious. Strength of belief seems to more important than religious practice.
2. There is TDAS resemblance of family members. The pattern of correlations suggests that level of death anxiety is determined in part by family influences.
3. Higher TDAS scores are associated with scores in the more pathological direction on scales of personality, adjustment, and psychopathology.
4. Lower scores on the TDAS are associated with scores in the direction of better adjustment on existential variables.
5. There is essentially no relationship between TDAS score and age from the teens through the middle age. There is a tendency for elderly persons to have lower scores.
6. TDAS studies in different parts of the world have yielded rather similar findings with respect to gender, age, personality correlates, religion, factor structure, and family resemblance.

7. Most factor analyses have yielded from 4 to 5 factors.
8. TDAS studies in different parts of the world have yielded rather similar findings with respect to gender, age, personality correlates, religion, factor structure, and family resemblance.
9. Most published studies that have attempted to reduce TDAS scores through behavioral an didactic means have not been successful. It should be borne in mind, however, that these studies have used group administration and subjects not selected on the basis of high death anxiety.

The cross-cultural issue stems from the implications of a dominant western empirical science over the entire globe. TDAS had a dominant role in stimulating research on death anxiety all over the world. Its successful spread impacts on how psychologists in other cultures think about death. The philosophical roots of this western cultural impact on science has been "deconstructed" by post-modern thinkers like Kelly (1955). But before gauging that impact in depth, empirical science assumes that a construct like "death anxiety" carries the same meaning from one individual to another regardless of cultural context. Back-translation assumes that an English term has its exact equivalent in a foreign term as long as a group of translators agree that they are the same. The phenomenology of Personal Constructs maintains the individuality of personal and cultural meaning for any construct. A western construct like "death anxiety" has a historical meaning which is bound to be different from that of another history in a foreign culture if we accept the ego-alter distinction as reversible. Leaving the post-modern controversy aside, even on an empirical basis Moghaddam, Taylor & Wright (1993) contend that it is impossible to achieve equality in translation. Any translation of a scale is also a transformation, and this sets limits on the freedom of other cultures to think differently from the west. You can do back-translation and ascertain equivalence of terms, but not equivalence of meaning. Furthermore once a structure like "Death Anxiety" has originated from a cultural setting of a western experience the third world, in particular, is influenced by that discovery. On an empirical as well as an existential basis there are limits to any meaningful cross-cultural comparison.

REFERENCE

Abdel Khalek, A.M. Beshai, J.A. & Templer, D.I. The Structure of Templer's Death Anxiety Scale among Egyptian students, Psychological Reports, 1993, 72, 920-922.

Abdel Khalek A.M. & Beshai, J.A. The Structure of Templer's Death Anxiety Scale among Egyptian students: A Reply, 1993, Psychological Reports, 73, 321-322.

Becker, E. (1973) The Denial of Death, New York: Free Press

Gelvin, M. A. (1970) A Commentary on Heidegger's "Being and Time", New York: Harper & Row

Kastenbaum, R. & Costa, P.T. (1977) Psychologial Perspectives on Death. Annual Review of Psychology, pp. 225-249.

Kelly, G. A. (1955) The psychology of personal constructs, New York: Norton.

Lester, D. (1993) The Structure of Death Anxiety Scale among Egyptian students: a comment. Psychological Reports, 1993,72, 1378.

Lonetto,R.&Templer,D.I.(1986)Death Anxiety.Washington, D.C. Hemisphere.

Moghaddam, F.M., Taylor, D.M. & Wright, S.C. (1993) Social Psychology in cross- cultural perspective. New York: W.H.Freeman.

Neimeyer, R.A. and Franz R. Eptig (1992) Measuring Personal Constructs of Death: 20 Years of Research Using the Threat Index. In Neimeyer, R.A. & G.J. Neimeyer, Advances in Personal Construct Psychology, Vol. 2, pp. 121-147.

Parsons, T. & Lidz, V. (1967) "Death in American Society" Essays in Self Destruction. Edwin Schneidman, ed., New York: Science House, 1967.

Templer, D. I. (1970) The Construction and validation of a death anxiety scale. J. Gen. Psychol., 82, 165-177.

Templer, D.I. (2004). Personal communication.

Thorson,J.A.,F.C.Powell,Ahmed M.Abdel Khalek,&J.A.Beshai. Constructions of Religiosity and Death Anxiety in Two Cultures: The United States & Kuwait. J.

of Psychology and Theology, Fall 1997, vol. 25, 3, pp. 374-383.

مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية
Center b'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S
طرابلس - لبنان- شارع عزمي - بناية قاديشا ص.ب 3026 - التل

شروط العضوية

منذ مطلع العام 1990 ومع صدور العدد الأول من الثقافة النفسية المتخصصة والمركز يعمل على إرساء خطاب نفسي عربي جامع يترجم أهداف خدمة الاختصاص في الدول العربية. وعلى هذا الطريق عقد المركز ثلاثة مؤتمرات عربية جامعة مع انتظام صدور دوريته الثقافية النفسية المتخصصة. حتى توصل المركز إلى كسب ثقة زملاء من كافة أنحاء العالم العربي، فأصبح أعضاؤه موزعين على الدول العربية. هذا ويسعى المركز إلى توسيع دائرة التواصل بين الاختصاصيين عبر المجلة، وعبر المشاريع التوثيقية التي يتبناها ومنها مشروع الصفحة المعلوماتية العربية على شبكة الإنترنت.

يتوجب على طالب العضوية استيفاء الشروط التالية:

أن يكون متخصصا في أحد فروع العلوم النفسية. ويحدد نوع العضوية بناء على المؤهلات. إذ يعتبر عضوا متمرنا المنتسب الحائز على الليسانس، وعضوا منتسبا الحائز على الماجستير، وعضوا مؤهلا من كان حائزا على الدكتوراه، أو على التخصص في الطب النفسي، أو الطبيب الباحث في ميدان السيكوسوماتيك. كما يعتبر عضوا عاملا الاختصاصي المشارك في النشاطات الأساسية للمركز. تمنح عضوية شرف المركز للمشتركين مدى الحياة في المجلة كداعمين لاستمراريتها، وكذلك لأصحاب الإسهامات المميزة الداعمة للمركز.

أن يرسل سيرته العلمية المفصلة مع صور الوثائق، وأن يسمح بإدراجها في الصفحة العربية للعلوم النفسية، وفي صفحة المركز التي ستضم أسماء أعضائه وسيرهم العلمية.

الالتزام بالدعوة لتكييف مبادئ الاختصاص بما يلائم البيئة الثقافية العربية.

أن يشارك في نشاطات المركز ضمن إطارات اهتماماته.

أن يشترك في مجلة المركز (الثقافة النفسية المتخصصة) حيث يعتبر هذا الاشتراك هو رسم

الاشتراك في عضوية المركز. وتتوزع أنواع الاشتراك كما يلي:

للأفراد/ سنويا:

اشتراك عادي 40 دولارا (يحصل على أعداد المجلة).

اشتراك شامل 100 دولار سنويا (يحصل على كافة إصدارات المركز عن سنة الاشتراك من كتب ونشرات وغيرها).

اشتراك مدى الحياة 500 دولار.

للمؤسسات 150 دولارا.

للاشتراك يرسل طلب الاشتراك مبينا فيه بوضوح: الاسم والعنوان والمستوى الأكاديمي ومكان العمل وفئة العضوية المطابقة. ويرسل الاشتراك بموجب حوالة باسم رئيس التحرير د. محمد أحمد النابلسي على الحساب التالي: المصرف: الشركة العامة اللبنانية الأوروبية المصرفية ش.م.ل./ فرع طرابلس رقم الحساب: (1 – 01 – 330384 – 360 – 001 – 010)

صاحب الحساب: محمد أحمد النابلسي.

قسيمة الاشتراك

الاسم:.....

التخصص: .....

التخصص الدقيق: .....

مكان العمل: .....

نوعية الاشتراك وقيمته: .....

العنوان (بما فيه أرقام الهاتف والفاكس والبريد العادي والبريد الالكتروني).

.....

.....

.....

.....

مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية

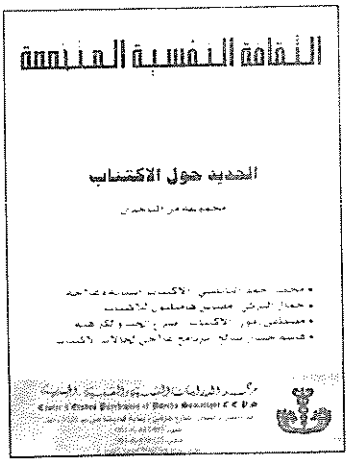

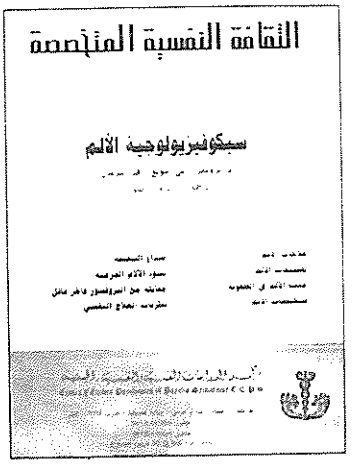

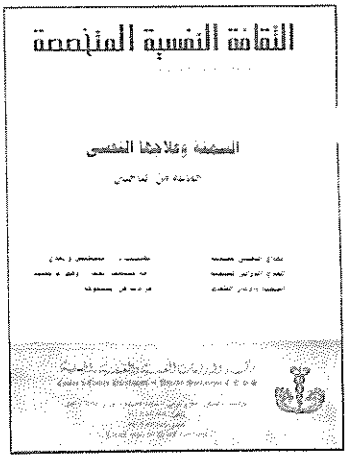

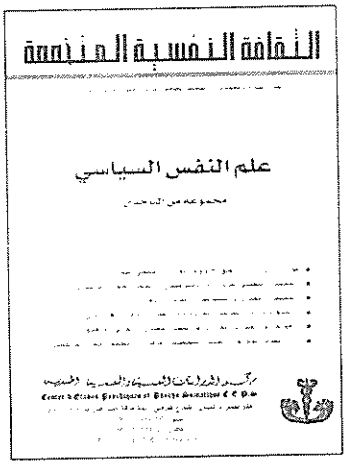

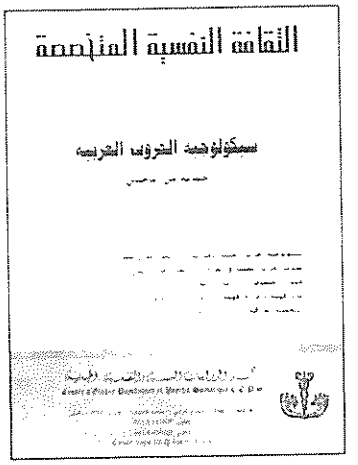

مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية
يدعوكم لزيارة مواقعه على الإنترنت

WWW. FILNAFS. COM
WWW. PSYINTERDISC. COM
WWW. PSYCHIATRE- NABOULSI. COM

إصدارات
مركز الدراسات النفسية

الدكتور محمد عبد الله الجيني

تقنيات الفحص النفسي

هذا الكتاب موجه للراغبين في تعميق معرفتهم لنفسهم وللآخرين وكذلك فهو موجه للفاحص النفسي، خاصة المبتدئ، بهدف مساعدته على التعرف في العمق الى أصول الفحص النفسي والى مختلف المؤشرات (Indices) التي من شأنها المساهمة في وضع تشخيص اكثر دقة وشمولية.

الدكتور محمد عبد الله الجيني

الخصوصية العربية والعقل الأسير

نحو سيكولوجيا عربية

في الخمسينات من هذا القرن دخلت السيكولوجية كعلم عالمنا العربي لأول مرة بفضل طموح وجهود نفر من الرواد الأوائل ومنذ ذلك الحين توالت الدعوات إلى إقامة سيكولوجية عربية. إلا أن غالبية تلك الدعوات انطلقت من دراسة وتحليل الشخصية العربية بدلاً من تركيز البحث على المقولات الأولية لهذا العلم ومداخله الأساسية كالاختبار النفسي والمصطلح النفسي والطب النفسي ومنهجية تدريس العلوم النفسية في معاهدنا وجامعاتنا.

هذا الكتاب هو أفكار أولية تدعو إلى توسيع حلقة النقاش حتى تشمل وجهات النظر المختلفة بعيداً عن الأسر العقلي وعن التمرد النرجسي.